الإحَالَةُ فِي آيَاتِ السِّلمِ والحَرْبِ في القرآنِ الكَرِيمِ دِرَاسَةٌ فِي الاتِّسَاقِ النَّحْوِيّ

الباحث: حسين نعيم حريجة أ. م. د. سعيد سلمان الهاشمي

جامعة واسط / كلية الاداب/ قسم اللغة العربية

hus198249@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/9/13

تاريخ القبول: 2020/9/24

المُلخَّص:

يبيّن هذا البحث التماسك النَّصِّيّ في آيات السِّلم والحرب في القرآن الكريم عبر الإحالة التي تُعدُّ أبرز وسائل الاتِّساق في تحليل النَّصّ والوقوف على عقد ترابطه مبتدئًا بالتعريف بالمفاهيم الأساسية.....(الاتِّساق، الاتِّساق النحوي، الإحالة، السِّلم والحرب) ، ثم يتناول بالوصف والتحليل ترابط نصّ الآيات الكريمة بوسائل الإحالة، وينتهي بنتائج ذُكرت أبرزها.

الكلمات المفتاحية : الإحالة، الاتِّساق النحوي، السِّلم والحرب

Reference in verses of peace and war Study in Grammatical Cohesion

Prof.DR. Saeed Salman Al- Hashemi
Wasit University - college of Literature
salsaray@uowasit.edu.uq

Researcher Hussain Naeem Harija
Wasit University - college of Literature
hus198249@gmail.com

E: 07803755085

Receipt date: 11/9/2020

Date of acceptance: 20/9/2020

Abstract:

This research shows textual coherence in the peace and war verses in the Noble Qur'an through referral, which is the most prominent means of consistency in text analysis and standing on its interconnectedness, beginning with the definition of the basic concepts (consistency, grammatical consistency, referral, peace and war), then deals with the linkage of noble texts and analysis By means of referral, and ends with the most prominent results.

Key words : Reference, Grammatical Cohesion, verses of peace and war

.

تمهيد:

نظرت الدراسات النَّصَّيَّة إلى النَّصِّ على أنَّه كَلٌّ واحدٌ مترابط الأجزاء بمفرداته وجمله ودلالاته، ومرتبطًا بالظروف الخارجية التي ألقت بظلالها عليه فضلاً عن المتكلِّم والمتلقي، فجعلته محورًا للتحليل اللساني، ومن ثَمَّ درسته ضمن سياقه التواصلي والاجتماعي، وقد جاءت هذه العناية بالنَّصِّ بعد أن اقتصرت الدراسات اللغوية السابقة في تحليلها على الجملة. وقد فتح اللّسانيون الباب أمام الدراسات الحديثة لتطبيق ما جاؤوا به من نظريات على النصوص الأدبية، فوجد الباحثون النَّصَّ القرآني مجالاً رحبًا لإثراء ما أنتجته الدراسات بنماذج قرآنية امتازت باتساقها البنائي وانسجامها الدلالي، وكل ما يدعو إلى تكامل النَّصِّ من معايير أخرى؛ كونه نصًّا متكامل النَّصَّيَّة، مظهرين بذلك إعجازًا قرآنيًّا آخر، بتطبيق الآليات اللسانية الحديثة عليه.

الاتِّسَاقُ (Cohesion) :

الاتِّساق لغةً من وَسَقَ من الوَسْقُ و" الوَسْقُ: ضمك الشيء إلى الشيء بعضهما إلى بعض. والاتِّساق: الانضمام والاستواء كاتِّساق القمر إذا تم وامتلأ فاستوى، واستَوْسَقَتْ الإبلُ: اجتمعت وانضمت، والراعي يَسِقُها أي يجمعها، وقوله تعالى:"وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ" (souret, p. Al inshgag 17)، أي : جمع (Faraaheedi, 1999, p. 1 / 406)، والطريق يأتَسِقُ ويَتَّسِقُ : ينضمُ، و"وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ" (souret, p. al inshgag 18)، أي: ما جمع وضم واستوى ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة. فكل ما انضم أو انتظم فقد اتَّسق (Ibn-Manzur, 1414B.C, p. 10 / 378).

وفي الاصطلاح يُعَدُّ الاتِّساق أحد المفاهيم الرئيسة في لسانيات النَّصِّ، يخصُّ التماسك على المستوى البنائي للنَّصِّ، وقد عَدَّه ديبوجراند أول المعايير النصية، فهو " يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي" (Beaugrande, 1998, p. 103)، ويعتمد على وسائل تتحقق بها استمرارية ظاهر النَّصِّ من أحداث لغوية يُنْطَقُ بها أو تُسْمَعُ في تعاقبها الزمني، فتنتظم فيما بينها تبعًا للمباني النحوية (Maslouh, 1991, p. 154).

الاتِّسَاقُ النحوي (Grammatical Cohesion) :

يأتي الاتِّساق في مقدمة كلِّ دراسة لسانية تتناول نصًّا ما بالتحليل، ويقسم على نحوي ومعجمي وصوتي (Shebel, 2009, p. 105)، ويختصُّ الاتِّساق النحوي بالتراكيب اللغوية المُنتشرَة على سطح النَّصِّ والمُمتدَّة أفقيًّا، تربطها علاقات نحوية، من شأنها أن تخلق النَّصَّ، وتسهم في وحدته الشاملة، وتحقق نصيته (Khatabi, 2006, p. 13)، ويتمُّ الاتِّساق النحوي بوسائل تُعدُّ الإحالة أبرزها؛ لتوفرها في كلِّ نصٍّ وفي كلِّ لغة طبيعية (Khatabi, 2006, pp. 16 - 17).

السِّلم والحرب :

مفهومـان متضـادان، فكـلُّ واحـد منهمـا ضـد الآخـر والسِّـلم بكسـر والسـين وفتحهـا واحـد (Faraaheedi, 1999, p. 3/ 213، 7/266)، ويُقصـد بمفهـوم السِّـلم " الصـلح والمسـالمة، لا النـزاع والاحتـراب وتغليـب فئـةٍ علـى فئـة، وإنَّمـا الجميـع متسـالم ومتصـالح، والكـلُّ يعمـل لهـدف واحـد ، وهـو إرسـاء لتعـايش فـي المجتمعـات" (al-Maliki, 2016, p. 41)، وعلـى نقيضـه يـأتي مفهـوم الحـرب الـذي ينطبـق علـى كـلِّ مَـن يحمـل السـلاح قاصـدًا بـه إخافـة النـاس وتـرهيبهم، وانتشـار الفوضـى بإرعـابهم، ومَـن يفعـل ذلـك يسـتوجب علـى المسـلمين ردّه حسـب الضـوابط الشـرعية (al-Maliki, 2016, p. 42).

الإحَالَةُ (Reference) :

الإحالـة مصـدر الفعـل أحـال، وأحـال الكـلام : عـدل بـه عـن وجهـه وحوَّلـه إلـى غيـره، والمُحـال مـن الكـلام : مـا عُدل بـه عن وجهـه، وحوَّلـه : جعلـه مُحـالاً (Ibn-Manzur, 1414B.C, p. 11 / 186)، وأحـال : الشـيء أو الرجـل : تحوَّل من حـال إلـى حـال، وأحـال الشـيء : نقلـه، وأحـال العمـل إلـى فـلان : ناطـه بـه (others), 1426 AH, p. 208).

يتَّضـح أنَّ المعنـى اللغـوي للإحالـة يـدلُّ علـى التغيـر والتحـول والنقـل، وهـذا " التحـوُّل والتغيـر ونقـل الشـيء مـن حـال إلـى أخـرى لا يـتمُّ إلا فـي ظـل وجـود علاقـة قائمـة بينهمـا، تلـك العلاقـة هـي التـي سـمحت بـالتغيير" (Ismail, 2011, p. 1063) ،فيـتمُّ بـذلك الـرَّبط بـين طـرفين فـي الـنَّصِ، وهـذا مـا جعـل المعنـى اللغـوي يناسـب المعنـى الاصطلاحي.

وردت عنـد علمـاءِ الـنَّصِ مجموعـة مـن المصـطلحات قاصـدين بهـا الإحالـة، منهـا مصـطلح (الإحالـة) (Shebel, 2009, p. 101)عند هاليداي ورقية حسن، ومصطلح (الصيغ الكنائية) عند ديبوجراند وديسلر، وهو مصـطلح واسـع يقـع تحتـه إضـمار الاسـم والفعـل، ومصـطلح (الإحالـة المتبادلـة) أو (الإحالـة النصـية) عنـد بـراون ويـول، وتـرجم (Reference) إلـى العربيـة بمجموعـة مـن المصـطلحات منهـا الإرجـاع (Decro, 2007, p. 325) والمرجعيَّة (Al-Saleh, 2009, p. 1 / 116)، والإحالة (Shebel, 2009, p. 119).

أثـار مصـطلح الإحالـة مشـكلاً اصـطلاحيًّا؛ فهـي عمليـة بمقتضـاها تعنـي إحالـة اللفظـة إلـى جهـة فـي العـالم الخـارجي مـرة، وأخـرى إلـى جهـة داخـل الـنَّصِ، فضـلاً عـن مراعـاة دور المُـتكلِّم (Al-Shawash, 2001, p. 125)، وبحسـب النظـر لكـلِّ جهـةٍ اختلـف مفهـوم الإحالـة عنـد النصـيين، فقـد عرَّفهـا ديبوجرانـد بأنَّهـا "العلاقـة بـين العبـارات مـن جهـة، وبـين الأشـياء والمواقـف فـي العـالم الخـارجي الـذي تشـير إليـه العبـارات " (Beaugrande, 1998, p. 182)، يتضـح الاتسـاع فـي هـذا التعريـف، ولـم تُحـدَّد فيـه طبيعـة العناصـر الإحاليَّـة. ويُبْـرِزُ جـون لاينـز الجانـبَ الـدلالي للإحالـة؛ إذ يَعِـدُّ " العلاقـة القائمـة بـين الأسـماء والمسـميات هـي علاقـة إحاليَّـة، فالأسـماء تحيـل إلـى المسـميات " (Lines, 1980, p. 43)، ورأى بـروان ويـول أنَّ هـذا التعريـف قاصـر؛ لأنَّـه لا يعيـر أهميـة لمسـتعمل اللغـة، غيـر أنَّ لاينـز تنبَّـه لهـذا الـنقص لاحقًـا فـأعطى المُـتكلِّمَ مزيـةَ الإحالـة؛ لأنَّ قصـد المُـتكلِّم هـو الحـاكم فـي اختيـار العبـارات المناسـبة، وهـذا المفهـوم الأخيـر يجـب اعتمـاده مـن قبـل محلـل الـنَّصِ حسـب رؤيـة بـراون ويـول فـ" فـي تحليـل الخطـاب يُنظـر للإحالـة على كونها عملاً يقوم به المُتكلِّم أو الكاتب " (Yule, 1997, p. 36).

وتتتبَّع فان دايك المستوى الدلالي عبرَ الرَّبط بين النَّصِّ والسِّياق بوساطة الإحالة التي عبَّر عنها بـ(التعبيرات الإشارية) (Dyck, 2000, p. 135)، كذلك أخذ الجانب الدلالي دوره الفعَّال في ربط النَّصِّ بالإحالةِ مع الجانب التركيبي عند تنيير (alzinnad, 1993, p. 121).

ونظر هاليداي ورقية حسن إلى ما تشيرُ إليه العناصرُ المُحيلَة بغضِ النظرِ عن نوعها من أجل تأويلها؛ لأنَّ هذه العناصر مُتوفِّرة في كلِّ لغةٍ طبيعيَّة (Khatabi, 2006, pp. 16 - 17). ويبرز دور المُتكلِّم في الإحالة عند ربول وجاك موشلر؛ فهي " فعل لغوي يستعمل فيه المُتكلِّم تعبيرًا مُحيلاً قصد الإشارة إلى شيء ما في العالم " (Belhout, 2006, p. 18)، كذلك ستروسن أبرز دور المُتكلِّم؛ لأنَّ " الإحالة ليست شيئًا يقوم به تعبير ما، ولكنها شيء يمكن أن يحيل إليه شخص ما باستعماله تعبيرًا معينًا " (Yule, 1997, p. 36).

وتعني الإحالة عند أحمد عفيفي " علاقة معنويَّة بين ألفاظ معيَّنة وما تشير إليه من أشياء أو معانٍ أو مواقفَ تدلُّ عليها عباراتٌ أخرى في السِّياق، أو يدلُّ عليها المقام، وتلك الألفاظ المُحيلَة تعطي معناها عن طريق قصد المُتكلِّم، مثل : الضمير، واسم الإشارة، والاسم الموصول... إلخ حيث تشير هذه الألفاظ إلى أشياء سابقة أو لاحقة، قُصِدتْ عن طريق ألفاظ أخرى أو عبارات أو مواقف لغويَّة أو غير لغويَّة" (Afifi, 2001, p. 12)، وهذه العلاقة يتوقَّف فيها فِهمُ اللفظ على لفظ آخر " ولذا فإنَّ فهم العناصر الإحاليَّة التي يتضمَّنُها نصٌّ ما يقتضي أن يُبحَثَ عن المُخاطَب في مكان ما داخل النَّصِّ أو خارجه " (Yunus, 2013, p. 58)، وعلى هذا الأساس يُنظر للإحالة على أنَّها أداةٌ شائعةٌ ومُتداوَلةٌ في الرَّبط بين الجُمل والعبارات المُكوِّنَةِ للنصوص (Khalil, 2009, p. 227)، والخطابات الواقعية أو المُتَخَيَّلَة (Al-Mutawakel, 2010, p. 73).

ممَّا تقدَّم يَتبيَّنُ أنَّ الإحالةَ علاقةٌ لفظيةٌ / معنويةٌ تربطُ أسماءً بألفاظٍ مُعيَّنةٍ، ويتوقَّفُ تفسيرُ أحدِهما – الأسماء والألفاظ – على الآخر، وسواء أكانت هذه الألفاظ داخل النَّصِّ أم خارجه، تتَّبع قصد المُتكلِّم، وتتحقَّقُ في اللغة العربية بجميع أنواع الضمائر، وأسماء الإشارة، والمقارنة، والموصولات.

عَنَاصِرُ البُنْيَةِ الإحَالِيَّةِ :

1. العنصر الإشاري : هو المكوِّن الذي لا يحتاج إلى مكوِّن آخر يفسره (alzinnad, 1993, p. 127)، ويكون لفظًا مفردًا يدل على حدث أو ذات في الزمان أو المكان، أو يكون جزءًا من الملفوظ أو كلَّ الملفوظ (alzinnad, 1993, p. 116).

2. العنصر الإحالي : هو المكوِّن الذي يحتاج إلى مكوِّن آخر يفسره، ذُكر في موضع آخر يكون سابقًا عادة، ولا يُفهم إلا بالعودة إليه (alzinnad, 1993, pp. 131 - 132)، فـ" فالعناصر المُحيلَة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل؛ إذ لا بدَّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها" (Khatabi, 2006, p. 16).

أَنْوَاعُ الإحَالَةِ :

قسَّم النصيون الإحالة قسمين (Khatabi, 2006, p. 17) (alzinnad, 1993, p. 117) (Afifi, 2001, p. 118) (Shebel, 2009, p. 122):

1. نَصيَّة (داخليَّة) (إحالة داخل النص) : وهي " أيُّ تعبيرٍ لغويٍّ يتعلقُ بتعبيرٍ لغويٍّ آخرَ في النَّصِّ " (authors, 2007, p. 211)، لذا تكون فيها الإحالة على عناصر لغوية واردة في الملفوظ سابقة كانت أم لاحقة (alzinnad, 1993, p. 118)، ويقوم هذا النوع من الإحالة بدور فعَّال في اتِّساق النَّصِّ، لذا شكَّلت معيارًا أساسًا للإحالة بصورة عامة عند هاليداي ورقية حسن، فأولياها

أهمية بالغة (Khatabi, 2006, pp. 17 - 18)، وتقسم على قسمين (Khatabi, 2006, p. 17) (alzinnad, 1993, p. 118) (Al-Feki, 2000, p. 1 / 116) (Shebel, 2009, p. 122) :

الأول : إحالة على سابق (قبليَّة)، وهي عودة عنصر إحالي على عنصر إشاري مذكور قبله (alzinnad, 1993, p. 119)، أي : عودة عنصر لغوي على آخر تمَّ التَّلَفُّظُ به مُسبقًا.

الثاني : إحالة على لاحق (بعديَّة)، تعود على عنصر إشاري تمَّ ذكره بعدها، أي: إحالة عنصر لغوي سابق على عنصر لغوي لاحق داخل النَّصِّ (Hassan, 2007, p. 229).

وتُعَدُّ الإحالة القبليَّة أكثر ورودًا واستعمالاً من الإحالة البعديَّة؛ لأنَّ العنصر الذي تصدق الإحالة إليه يأتي مُتقدِّمًا على اللفظ الكِنائي الذي يمثِّله " فتأخر الألفاظ الكِنائية عن مراجعها، وورودها بعد الألفاظ المشتركة معها في الإحالة أكثر احتمالاً من ورودها متقدِّمة عليها، فرجوع اللفظ الكِنائي إلى متقدِّم يهيِّئ مركز ضبط أن تضاف إليه المادة المتعلِّقة باللفظ الكِنائي " (Beaugrande, 1998, p. 327)، في حين تثير الإحالة البعديَّة ذهن المتلقي؛ بسبب وجود لفظ كنائي غير مسبوق بعنصر لغوي يعود عليه (Afifi, Reference in towards text, p. 42)، وهذا يمثِّل صعوبة؛ لأنَّه يتحتَّمُ على اللفظ الكنائي بقاؤه من دون تحديد إلى حين مجيء العبارة التي يحيل إليها، فتظلُّ الحالة النحوية غيرَ مُتَّضِحَةٍ ولم تجد طريقها إلى أن تعثر على مَرجع لها، وربَّما يطول البحث عن المرجع فتكمن فيه صعوبة العائديَّة (Beaugrande, 1998, p. 327).

2. مقاميَّة (خارجيَّة) (إحالة خارج النص) : وتعني " إحالة عنصر لغوي إحالي إلى عنصر لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المُتكلِّم على ذات صاحبه... ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقام ذاته في تفاصيله أو مُجْمَلاً، إذ يمثِّل كائنًا أو مرجعًا مستقِلاً يمكن أنْ يحيل عليه المُتكلِّم " (alzinnad, 1993, p. 119).

تحتاج الإحالةُ الخارجيَّةُ لجهدٍ أكبرَ لأجلِ الكشفِ عنها، وتأويلِ العنصرِ الذي يحكمُها الموجود خارج النَّصِّ، فيُستَعان بالمقامِ الخارجيّ والسِّياقِ والإشاراتِ الدَّالةِ عليه؛ للكشفِ عنه، وتفسيرِه، والوقوفِ على القصدِ، وظروفِ إنتاجِ النَّصِّ (Beheiry, 2005, p. 105).

ولا يرى هاليداي ورقية حسن للإحالةِ الخارجيَّةِ أثرًا في اتِّساق النَّصِّ؛ فهي " تُسهِم في خلقِ النَّصِّ؛ لكونِها تربطُ اللغةَ بسياقِ المَقامِ إلا أنَّها لا تُسهِم في اتِّساقه بشكل مباشر " (Khatabi, 2006, p. 17)، ويرفضُ بعضُهم هذا الرأيَ ويَعُدها مُسَاهِمَةً في خَلق النَّصِّ؛ ذلك أنَّها تربطُ اللغةَ بسياقِ المَقامِ (Afifi, Reference in towards text, p. 50).

أَهَمِّيَّةُ الإِحَالَةِ فِي الاتِّسَاقِ النَّصِّيِّ :

تكمنُ أهميةُ الإحالةِ بمساهمتِها في رَبطِ النَّصِّ؛ فهي تُقدِّمُ ربطًا دلاليًّا يلائم الرَّبط البنيوي (التركيبي)، وربطًا دلاليًّا إضافيًّا (ربطًا إحاليًّا) يصل بين أجزاء النَّصِّ المتباعدة (alzinnad, 1993, p. 121)، فـ"يكتمل الملفوظ نصًّا عندما تترابط أجزاؤه بالروابط الإحاليَّة، وهذه الروابط تختلف من حيث مداها ومجالها، فبعضُها يقفُ في حدودِ الجملةِ الواحدةِ، وبعضُها يتجاوزُ الجملةَ الواحدةَ إلى سائرِ الجُملِ في النَّصِّ فيربطُ بين عناصر منفصلة ومُتباعِدة من حيث التركيب النحوي، ولكنَّ الواحد منها مُتَّصِل بما يناسبه أشد الاتصال من حيث الدلالة والمعنى، فالإحالة عامل يحكم النَّصَّ كاملاً في توازٍ مع العامل التركيبي والعامل الزمني " (alzinnad, 1993, p. 124)، فضلاً عمَّا تقوم به الإحالة من وظائف تسمح لمستعمل اللغة بالاحتفاظ بالمحتوى في المخزون اللغوي من دون الحاجة للتصريح به مرة أخرى، والابتعاد عن إعادة العناصر المحال إليها، وبهذا تتحقَّقُ الاستمراريَّةُ في الأداء دون إرباك للبنية السَّطحيَّة (Farrouj, 2007, p. 85)، لذا تُعدُّ الوسيلةَ الأكثرَ قوَّةً في ربط النَّصِّ بصورةٍ شاملةٍ، وتجسيد وحدته العامة، والأكثرَ قدرةً على صنعِ وحدةٍ نصِّيَّةٍ مُتماسِكةٍ ومُترابِطةٍ؛ لأنَّها تجعل الترابط الرصفي (اللفظي) والترابط المفهومي (المعنوي) مقترنين (Afifi, Reference in towards text, p. 60).

وَظَائِفُ الإِحَالَةِ :

1. اختصار الألفاظ : من وظائف الإحالة أنَّها تشير إلى سابق في داخل النَّصِّ، وتعوِّض عنه بإحدى وسائلها تجنُّبًا للتكرار، فيتحقق الاختصار (Kharma, 2014, p. 174).

2. توسعة النَّصِّ : وهو على عكس الاختصار، ويتمُّ بوساطة الإحالة البعديَّة، فضمير الشأن _ مثلاً _ يُؤتى بعده بجملة تفسِّر معناه، بمعنى إضافة جملة للنَّصِّ، وإضافة جملة لاحقة تؤدي إلى توسعة النَّصِّ، وينطبق الحال على وسائل الإحالة البعديَّة الأخرى (Kharma, 2014, p. 175).

3. اختصار الوقت : تحقِّقُ الإحالة " الاختصار في الوقت؛ فعندما نُحيل بمضمرٍ أو اسم إشارةٍ أو غيره على لفظٍ سبق ذكره، أو جملةٍ، أو نصٍّ بأكمله، تغنينا الإحالة عن التكرار، وبهذا يتحقق الاختصار في الوقت للمتكلم والمتلقي؛ لأنَّ الاسم أو الجملة أو النص يحتاج إلى وقتٍ للنطق به أكثر من الضمير أو اسم لإشارة أو غيره من وسائل الإحالة الأخرى " (Faraj, 2018, p. 26).

4. يرى الباحث أنَّ الإحالة تقللُ من الجهد؛ لأنَّ التقليلَ في الكلام وعدم تكرار الألفاظ يخفضُ مستوى الجهدِ العضلي للمُتكلِّم، كما أنَّها تدلُّ على نباهة المُخاطَبِ ومُتابعته للحديث؛ فعبر فهمه للكلام يُرجِع كلَّ عُنصرٍ إحالي للمُحال إليه لفهم مَقْصَدِ المُتكلِّم، فإن حصل خللٌ في إرجاع أحد العناصر الإحاليَّة للمحال إليه حصلَ خللٌ في

المعنى وضاعَ قَصْدَ المُتكلِّم، ووصلت للمُخاطَبِ صورةٌ غيرُ مقصودةٍ، كما أنَّ كثرةَ الإحالاتِ في النَّصِّ تدلُّ على انسجامِ المُتكلِّم والمتلقي، فمقاصدُ المُتكلِّم واضحةٌ بصورتِها المقصودةِ عند المتلقي المتابِع.

وَسَائِلُ الإِحَالَةِ :

قُسِّمت وسائل الاتِّساق الإحاليَّة على شخصيَّةٍ، وإشاريَّةٍ، ومقارنةٍ (Khatabi, 2006, p. 18)، وأضاف لها الدكتور تمام حسَّان الموصولات (Hassan, The statement in the Masterpieces of the Qur'an (a linguistic and stylistic study of the Qur'anic text), 2013, p. 122).

1_ الإِحَالَةِ بِالضَّمَائِرِ :

الضمائر من المعارف في العربية، وعلَّلَ ذلك سيبويه (ت180هـ) بقوله : " وإنَّما صار معرفة؛ لأنَّك إنما تضمر اسمًا بعد ما تعلم أنَّ من يُحدِّث قد عرف مَن تعني وما تعني، وأنَّك تريد شيئًا يعلمه " (Sibawayh, 1988, p. 2 / 6).

ولا تخلو الضمائر بكلِّ أنواعها من إبهام وغموض، فلا بدَّ لها من مفسِّر يزيل إبهامها، ويكشف غموضها، وعليه يفسِّر المُتكلِّم والمُخاطَب غموض ضمير المُتكلِّم أو ضمير المُخاطَب؛ ذلك لوجود صاحب ذلك الضمير وقت الكلام، فهو إمَّا حاضر يتكلَّمُ بنفسه أو يكلمه غيره بصورة مباشرة، وفميا يخصُّ ضمير الغائب فصاحبه غير معروف؛ كونه غير حاضر ولا مُشاهَد، فلا بدَّ له من شيء يفسِّره (Hassan A. , p. 1 / 256)، وشرط الإضمار " أن يكون بين الضمير ومرجعه مطابقة في اللفظ والقصد بحيث لو عدنا بالإضمار إلى الإظهار لحصلنا على اللفظ نفسه وعلى المدلول نفسه " (Hassan, The statement in the Masterpieces of the Qur'an (a linguistic and stylistic study of the Qur'anic text), 2013, p. 119).

تُعدُّ الضمائر أبرز وسائل الإحالة إلى عناصر لغويَّة داخل النَّصِّ أو خارجه؛ فمن شأنها تقليل تكرار العناصر، فيتحقَّقُ مبدأ الاقتصاد اللغوي، وقد ذكر هذا المعنى السيرافي (ت368هـ) بقوله : " اعلم أنَّ الاسم الظاهر متى احتيج إلى تكرار ذكره في جملة واحدة كان الاختيار أن يذكر ضميره؛ لأنَّ ذلك أخفُّ، وأنفى للشبه واللبس" (Al-Serafi, 2008, p. 1 / 334)، وأفرد السيوطي (ت911هـ) كلامًا عن (الاختصار) مبتدئًا بالضمائر، وقد بيَّن أهمية الاختصار قائلاً : " هو جلُّ مقصود العرب وعليه مبنى أكثر كلامهم، ومن ثم وضعوا باب الضمائر؛ لأنَّها أخصر الظواهر خصوصًا ضمير الغيبة، فإنَّه يقوم مقام أسماء كثيرة " (Suyuti, 2007, p. 1 / 36).

وتتكئ الإحالة بصورة كبيرة على الضمائر في ربط العناصر اللغويَّة؛ لأنَّها أصلٌ في ذلك، وقد أكد ابن هشام (ت761هـ) هذا حين عدَّ الضمير أصلاً للربط سواء أكان مذكورًا أم محذوفًا، وهو بذلك يدرك مرجعية الضمير (ibn-Hisham, 1964, p. 2 / 551).

وأدرك المحدثون ما للضمائر من أهمية في تماسك النَّصّ؛ إذ يرى بروان ويول أنَّ "الضمائر أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملوها المُتكلِّمون للإحالة على كيانات معطاة... ولا غنى لأيَّة نظرية في الإحالة عن تفسيرها "

(Yule, 1997, p. 256)، وعدَّها ديبوجراند أشهر الكنائيات (Beaugrande, 1998, p. 321)، وعلى ذلك فهي أهم الشرائط التركيبية لتناسق النَّصِ؛ إذ إنَّها تضمن وحدة سياقه، وتحسم بناءه الذي يتكوَّنُ من وحداتٍ لغويَّةٍ مُتتابِعةٍ بسلاسل الضمائر المتصلة (Fehfiger, 1999, p. 27)، وتكسب أهميتها في نيابتها عن الأسماء والأفعال والعبارات وكذلك الجُمل المتتالية، فيمكن أنْ ينوب ضمير عن كلمة، أو عبارة، أو جملة، أو عدة جمل، فيربط أجزاء النَّصِ شكلاً ودلالةً نحو الداخل والخارج (Al-Feki, 2000, p. 1 / 137).

ويمكن إيضاح ما للضمائر من دور في اتِّساق النص بالإحالة في نصوص القرآن الكريم الواقعة ضمن آيات السِّلمِ والحربِ.

قال (ﷻ) : " وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِب الْمُعْتَدِينَ ۞ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ ۞ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ۞ الشَّهْرُ الحَرامُ بالشَّهرِ الحَرامِ والحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَن اعتدَى عَليكُم فَاعْتَدُوا عَليه بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُم۞ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِكُم إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ" (souret, pp. al bagra: 190 - 194).

بعد أن انتقلَ الرسولُ محمدٌ (ﷺ) إلى المدينةِ المنورةِ، وقد قرَّ الإسلامُ في نفوس أهلِها، بدأت الآيات التشريعية تأخذ مسراها في تنظيم حياتهم، والآيات أعلاه من آيات تشريع القتال، ويتبين " أَنَّها نازلة دفعة واحدة، وقد سيق الكلام فيها لبيان غرض واحد وهو تشريع القتال لأول مرة " (al-Tabatabai, 2009, p. 2 / 50)، فكان الرسول (ﷺ) يقاتلُ مَنْ يقاتلُهُ ويكفُّ عمَّن كفَّ، ولما أراد المسلمون دخول مكة بعد صلح الحديبية خافوا أن ينقضَ الكفَّار عهدهم ويصدُّوهم ويقاتلوهم في الحرم المكي وفي الشهر الحرام، فجاءهم التشريع السماوي أنْ قَاتِلوا مَن يبدأ بقتالكم ولا تبدَؤُوا به (Al-Zamakhshari, 1407, p. 1 / 236).

والخطاب واضح أَنَّه صادر من الله تعالى (المُرسِل) إلى المسلمين وفي مقدمتهم النبي الأكرم (ﷺ)، فضلاً عن الكفار الذين نزلت الآيات لتوضح كيفية التعامل معهم (المُتلَقُّون)، فهذه الجهات تشكِّل أطراف النَّصِ، وقد ساهمت الضمائر بوساطة الإحالة بتماسك النَّصِ فجاءت الضمائر عائدة لمراجع رئيسة مُحال إليها، وهي : الله(ﷻ)، والمسلمون، والكافرون، إضافة للمسجد الحرام، ويمكن توضيحها في الجدول الآتي:

المحال إليه	الإحالة	عنصر الإحالة	نوع الإحالة
الله	لا يحب	ضمير مستتر (هو)	إحالة داخليَّة قبليَّة
	يحب	ضمير مستتر (هو)	=
	قاتلوا	ضمير متصل (الواو)	=
	يقاتلونكم	ضمير متصل (الكاف)	=

المسلمون	لا تعتدوا	ضمير متصل (الواو)	=
	اقتلوهم	ضمير متصل (الواو)	=
	ثقفتموهم	ضمير متصل (التاء)	=
	أخرِجوهم	ضمير متصل (الواو)	=
	أخرَجوكم	ضمير متصل (الكاف)	=
	لا تقاتلوهم	ضمير متصل (الواو)	=
	يقاتلوكم	ضمير متصل (الكاف)	=
	قاتلوكم	ضمير متصل (الكاف)	=
	فاقتلوهم	ضمير متصل (الواو)	=
	وقاتلوهم	ضمير متصل (الواو)	=
	عليكم	ضمير متصل (الكاف)	=
	فاعتدوا	ضمير متصل (الواو)	=
المسلمون	عليكم	ضمير متصل (الكاف)	=
	اتقوا	ضمير متصل (الواو)	=
	اعلموا	ضمير متصل (الواو)	=
	تلقوا	ضمير متصل (الواو)	=
	بأيديكم	ضمير متصل (الكاف)	=
	أحسِنوا	ضمير متصل (الواو)	=
الكافرون	يقاتلونكم	ضمير متصل (الواو)	=
	اقتلوهم	ضمير متصل (الهاء)	=
	ثقفتموهم	ضمير متصل (الهاء)	=
	أخرِجوهم	ضمير متصل (الهاء)	=
	أخرَجوكم	ضمير متصل (الواو)	=
	لا تقتلوهم	ضمير متصل (الهاء)	=

	يقاتلوكم	ضمير متصل (الواو)	=
	قاتلوكم	ضمير متصل (الواو)	=
	فاقتلوهم	ضمير متصل (الهاء)	=
	انتهوا	ضمير متصل (الواو)	=
	قاتلوهم	ضمير متصل (الهاء)	=
	انتهوا	ضمير متصل (الهاء)	=
	اعتدى	ضمير مستتر (هو)	=
	عليه	ضمير متصل (الهاء)	=
	اعتدى	ضمير مستتر (هو)	=
المسجد الحرام	فيه	ضمير متصل (الهاء)	=

جاءت جميع الإحالات داخليَّة قبليَّة؛ كون بعض العناصر الإحاليَّة مذكورة مسبقًا كلفظ الجلالة في الآية نفسها " إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُ الْمُعْتَدِينَ " و" إِنَّ اللهَ يُحِبُ الْمُحسِنينَ " و(المسجد الحرام) " وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ "، أو في كلام سبق هذا المقطع الخاص بتشريع القتال كالمسلمين الذين عبَّر عنهم بألفاظ منها (المتقون) في قوله (ﷻ) : " ذَلك الكِتَابُ لاَ رَيبَ فِيهِ هُدًى للمُتَّقِينَ" (souret, p. al bagara : 1)، و" الَّذِينَ آمَنُوا" (souret, p. al bagara : 9، 14، 25، 26، 62، 76، 82، 104، 153، 165، 172، 178، 183)، و(عبادي) في قوله (ﷻ) : " وَإِذا سَأَلَك عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعلَّهم يَرشِدُونَ" (souret, p. al bagara : 186)، وهذه اللفظة هي أقرب مرجعية للضمائر الخاصة بالمسلمين. والكفَّار الذين عبر عنهم بـ" الَّذِينَ كَفَرُا" (souret, p. al bagara: 6، 26، 39، 89، 105، 161، 171.)، ويجوز أن يكون " مرجع الضمير في (اقتلوهم، ثقفتموهم، أخرجوكم، تقاتلوهم، فاقتلوهم) هو (الذين يقاتلونكم) " (Sabrad, 2001, p. 109)، إلا أنَّ إحالة الضمائر إلى الكافرين المسبوق ذكرهم في آيات سابقة أفضل؛ كون القرآن الكريم وحدة نصية واحدة، وجاءت الإحالة على القريب (الذين يقاتلونكم) من باب التخصيص في الحكم وذكر نوع الكافرين، أي : الذين اعتدوا على المسلمين وأخرجوهم من ديارهم وبَادَؤُوهم القتال وهم مشركو قريش، فأذن الله بمقاتلتهم.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الإحالة الضميرية في (اعتدى، عليه، اعتدى) إلى الاسم الموصول (مَنْ) بصورة خاصة والكافرين بصورة عامة؛ لأنَّهم هم المقصودون، فـ(مَنْ) الموصولة تستعمل للمفرد والمثنى والجمع ولكلا الجنسين العاقلين مع جواز استعملها لغير العاقل في حال العموم، والضمير واسم الإشارة أبرز ما يُبيِّن قصد أحد هذه الأنواع، كما أنَّها تفيد العموم مع مَن لا يُعْلَم (Al-Astrabadi, 1973, p. 3 / 55)، وقد ورد الضمير المُحيل

إلى (مَنْ) في الآية ليوضِّح أَنَّ كلَّ كافر بغض النظر عن جنسه أو صفاته يُرد عليه اعتدائه بالمثل في المقدار وفي الأحوال بلا زيادة احترامًا للشهر الحرام والبلد الحرام (ibn-Ashour, 1984, p. 2 / 211).

ممَّا تقدم يُلاحظ أَنَّ المرجعيات كلها نصِّيَّة قبليَّة، ولا غرابة في ذلك؛ كون أغلب الإحالات بصورة عامة تكون قبليَّة (Radi, 2010, p. 103).

الضمائر التي أحالت للفظ الجلالة ضميران مستتران، أما التي أحالت إلى المسلمين فهي عشرون ضميرًا، والتي أحالت إلى الكافرين خمسة عشر ضميرًا، وضمير واحد أحال إلى المسجد الحرام، وتنوعت هذه الضمائر بين المخاطب والغيبة، كما أَنَّها كانت جميعها متصلة إلا ضميرين؛ ذلك لما يتميز به الضمير المتصل من اليسر في الاستعمال (ibn-Jinni, 1957, p. 2 / 192)؛ لخفته وما يقوم به من الاختصار والاقتصار وهو مطلب الاستعمال اللغوي (Hassan, The statement in the Masterpieces of the Qur'an (a linguistic and stylistic study of the Qur'anic text), 2013, p. 119).

إنَّ كثرة ورود الضمائر العائدة على المسلمين تحمل دلالة التأكيد على التوجيهات الإلهية وتنفيذها بصورة دقيقة بما تحمله من تفريعات، فالضمير (الواو) في "قَاتِلُوا" و"اقْتُلُوهُم" و"قَاتِلُوهم"... وإن كان مُوجَّهًا لنفس الجماعة فـ" الخطاب فيه واقع على النبي (ﷺ) ومن هاجر معه وإن كان الغرض به لازمًا لكلِّ مؤمنٍ " (al-Razi, 1981, p. 5 / 289)، إلا أَنَّ أمر القتال اختلف في "قَاتِلُوا"؛ فقد اشترط (ﷺ) إلا يكون إلا بعد أن يبدأ الكافرون بالاعتداء على المسلمين، ونهى عن الابتداء به " وَلاَ تَعْتَدُواْ" (Al-Zamakhshari, 1407, p. 1 / 235)، في حين جاء حكم القتال في "اقْتُلُوهُم" و"قَاتِلُوهم" عامًّا لمقاتلة الكافرين وإن كانوا في غير حالة قتال؛ لأَنَّهم ابتدؤوا قتال المسلمين في وقت سابق " فالضمير في قوله "اقْتُلُوهُم" عائد على الذين أمر بقتلهم في الآية الأولى وهم الكفار من أهل مكة، فأمر الله (ﷻ) بقتلهم حيث كانوا في الحل والحرم، وفي الشهر الحرام، وتحقيق القول أَنَّه تعالى أمر بالجهاد في الآية الأولى بشرط إقدام الكفار على المقاتلة، وفي هذه زاد في التكليف فأمر بالجهاد معهم سواء أقاتلوا أو لم يقاتلوا، واستثنى منه المقاتلة في البيت الحرام " (al-Razi, 1981, p. 5 / 289)، أي : " وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ " إن قاتلوكم، فجعل الأمكنةَ والأزمنةَ عامةً لقتال الكافرين، وبهذا سُمِحَ للمسلمين بقتل من يُعثَر عليه في غير ساحة القتال؛ لكونه خرج محاربًا فيشمله حكم القاتِل وإن لم يَقْتِلْ (ibn-Ashour, 1984, p. 2 : 201).

تحقَّقت جنبة الحرب بقوله : "قَاتِلُوا"، كما يُلتمس جنبة السِّلم بوضع شرط ابتداء الكافرين به، وانعدام الجنبة الأخيرة في الآيات اللاحقة سوى (المسجد الحرام)، والضرر عبر إلقاء النفس في التهلكة التي تحمل معاني كثيرة منها : حَمْلُ الرجلِ على صفِّ العدو بمفرده (Al-Zamakhshari, 1407, p. 1 / 237)، أو دخول ميدان القتال دون تخطيط مدروس (Al-Shirazi, 2009, p. 2 / 25).

يتبيَّن أنَّ الضمائر ساهمت في الكشف عن الدلالة الكلية للنَّصِّ، وربطت أول النسيج بآخره بصورة أفقية، ولكون العناصر المحال إليها مُحدَّدة كانت الضمائر كعقد الشبكة تربط بين خيوطها لتجعلها قطعة واحدة متماسكة؛ فيتمُّ ربط أجزاء النَّصِّ فيما بينها فتفصح عن معناها عبر القفزات الدِّلاليَّة بين الضمائر ذات المدلول المُوحَّد.

تميَّزت هذه الآياتُ من سورةِ البقرةِ بكثرةِ الإحالةِ بالضمائرِ التي عملتْ على ربطِ النَّصِّ، وتميَّزتْ بالتَّواترِ المُطَّرَد، فقد امتدَّتْ وشائجُ التماسكِ فيما بينها من جهةٍ وبين ما قبلها من جهةٍ أخرى، وكانت المرجعيةُ في كثيرٍ منها داخليَّةً سابقةً، ممَّا يتطلَّبُ من متلقي النَّصِّ النَّظرَ إلى ما سبقَ ذكرُهُ لمعرفةِ العناصرِ المُحالِ إليها وتحديدِها (Mossadegh, 2015, p. 221).

ويمكنُ بيان ما يخصُّ الإحالة بالضمائر في آياتِ السِّلمِ والحربِ في عددٍ من النقاط أهمها :

1- اشتملتْ آياتُ السِّلمِ والحربِ على كمٍّ هائلٍ من الإحالات الضميرية ساهمت بشكل فاعل في اتِّساق النَّصِّ في الآية نفسها من جهة ومع غيرها من جهة أخرى.

2- وردتِ الضمائرُ في آياتِ السِّلمِ والحربِ أكثر من ألفي مرة، وهذا ما يعزِّزُ صفةَ النَّصَّيَّةِ في هذه الآياتِ.

3- يمكنُ أن تُحصَرَ المرجعياتُ التي تحيلُ إليها الضمائرُ في آياتِ السِّلمِ والحربِ، فهي في أغلبِها تحيلُ إلى الله (ﷻ)، والرسول (J)، والمؤمنين المُكلَّفين بالقتال، وأعدائهم من الكافرين والمشركين والمنافقين، وبمتابعةِ الضمائرِ يظهرُ أنَّ عددَ إحالاتِها إلى الكافرين أكثرُ من إحالاتِها إلى المؤمنين؛ ذلك أنَّ الكافرين متعدِّدون من حيث الزمنِ، فموقفُهم لم يتغيرْ مع مَن سبقَ من الرسلِ والأنبياءِ (عليهم السلام) ومجابهتهم لدعوات التوحيد الإلهي بكلِّ الطرق، ومن هنا ذكر القرآن السابقين منهم ليكونوا عِبرة، ويأتي في المرتبة الثالثة الإحالة إلى الرسول محمد (J) التي غلب فيها ضمير المخاطب الكاف؛ كونه (J) المُخاطَب الأول والمتلقي للوحي لتبليغ الأحكام السماوية وتنفيذ شرائع الله في أرضه، فضلاً عن أنَّ أغلب الخطاب للمؤمنين يكون الرسول (J) مشمولاً به، كما كانت أغلبها إحالات مقامية (خارجيَّة)، أما الإحالات إلى الله (ﷻ) مع قلتها مقارنة بالإحالات الأخرى تميَّزت بأنَّ جميعها كانت نصيَّة (داخليَّة)، كما قلَّت الإحالة للملائكة (عليهم السلام)، وللنبي موسى(عليه السلام) وقومه، وقوم فرعون، وللنبي سليمان(عليه السلام)، وطالوت(عليه السلام) وجالوت وجنودهما، وغيرهم .

وبهذا برزت أنواع من الضمائر بكثرة دون غيرها كالضمير الواو، والضميرِ (الهاء) المُتَّصِلِ المُلْحَقة به ميم الجماعة، فضلاً عن الضمير المنفصل(هم) الذي غلبت فيه الإحالة إلى الكافرين والمنافقين، كقوله (ﷻ): " هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ" (souret, p. alhshor: 2).

فالضمير الواو تكرر في هذه الآية ست مرات واحدة منها للمؤمنين وما تبقى للكافرين (يهود بني النضير)، والإحالات به داخليَّة فيما يخصُّ الكافرين فالواو أحالت إلى الاسم الموصول " الذي يستلزم وجود جملة بعده، وعادة ما تكون فعليَّةً، وقد يُعطف على هذه الجملة بعدَّة جمل فيطول الكلام، ويكون نصًّا كاملاً، ويظلُّ مرتبطًا كله بالاسم الموصول الأول " (Boutra'a, p. 5)، في حين كانت الإحالةُ بعديَّةً بالضمير الواو الخاص بالمؤمنين الذين عبَّر عنهم بـ" أُولِي الْأَبْصَارِ "، ويمكن بيان ذلك في المخطط الآتي :

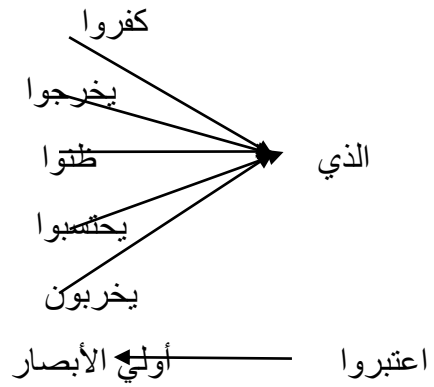

أما الضميرُ (هم) فقد ساهمَ في تماسكِ النَّصّ بربطِ أولِ الآيةِ ووسطِها وآخرِها بالإحالةِ إلى واحدٍ تمثَّل في يهودِ بني النضير " الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ" حينما حاولوا الغدرَ برسولِ اللهِ (J) وقتله، وقد كان بينه(J) وبينهم عهدٌ، فأنبأه اللهُ(ﷻ) بمكرِهم، فأرسلَ (J) إليهم محمد بن مسلمة الأنصاري يخبرهم بأن يخرجوا من المدينة أو يأذنوا بحرب، فتهيَّؤوا للحرب وتحصنوا، وجاءَ (J) وأحاطَ بحصنِهم، فكان كلَّما تقدَّمَ نحوهم حصَّنوا ما يليهم من بيوتهم وخرَّبوا ما يليه إلى أن انتهى الأمر إلى انسحابهم بلا حرب من ديارهم دون أن يحملوا شيئًا منها (al-Tabatabai, 2009, pp. 19 / 192 - 193).

وتبرز دلالة الضمير في إرادة المعنى المراد ففي " نظم جملة " وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم" على هذا النظم دون أن يُقال : وظنُّوا أَنَّ حصونهم مانعتهم ليكون الابتداء بضميرهم؛ لأَنَّه سيعقبه إسناد " مَانِعَتُهُمْ " إليه فيكون الابتداء بضميرهم مشيرًا إلى اغترارهم بأنفسهم أَنَّهم في عِزَّة ومَنَعة، وأَنَّ مَنَعة حصونهم هي من شؤون عِزَّتِهم " (ibn-Ashour, 1984, p. 28 / 69).

ويمكن توضيح ما للضمير (هم) من إسهام في تماسك النَّصّ في المخطط الآتي:

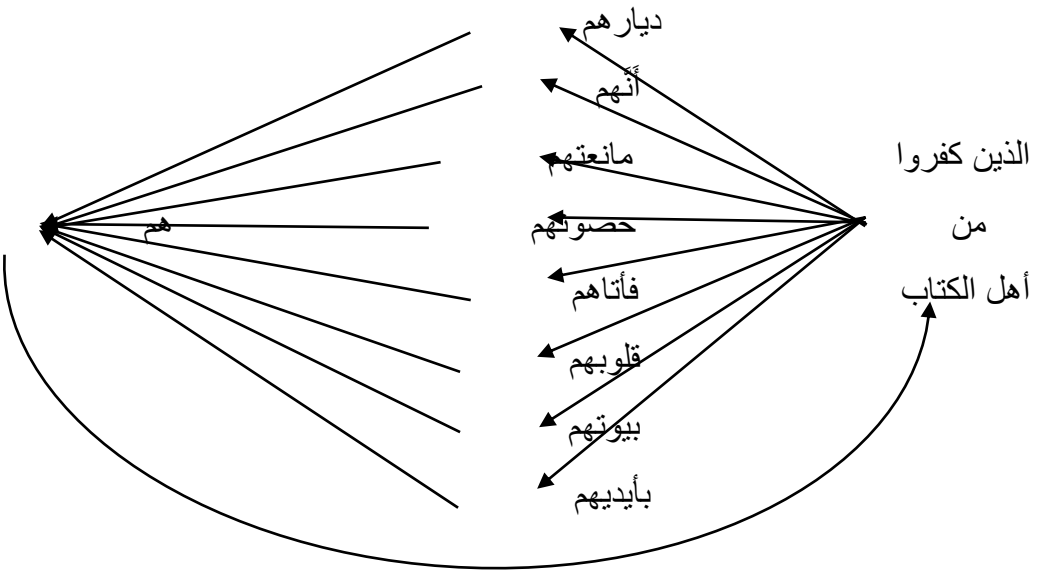

ممَّا تقدَّم يُلحظُ أَنَّ الإحالةَ الضميريَّةَ بالضميرِ (هم) داخليَّةٌ لاحقةٌ؛ إذ أحالت إلى سابقٍ مذكورٍ في النَّصِّ وهم الكافرون من أهل الكتاب، وهو ما قرره البحث من أَنَّ أغلب الإحالات في الضمير (هم) تكون خاصة بالكافرين والمشركين والمنافقين.

وكثرتِ الإحالاتُ بالضميرِ الكافِ إلى المؤمنين؛ لكثرةِ التوجيهاتِ الإلهيَّةِ بالخطابِ المباشرِ لهم ووعظهم وتنبيههم، كقوله (ﷻ) : "سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السِّلم وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُّبِيناً" (souret, p. alnesaa : 91)، تتَّضحُ مساهمةُ الضميرِ الكافِ بصورةٍ جليَّةٍ في هذه الآيةِ الكريمةِ في تماسكِ النَّصِّ؛ إذ وحَّدَ الضميرُ الكافُ بين ما يمثِّله من المباشرةِ في الخطابِ والمُحال إليه، فجاءَ الخطابُ موجَّهًا للمؤمنين في كيفية التعامل مع مَنْ " يُظهرون المودَّة للمسلمين ليأمنوا غزوهم، ويظهرون الودَّ لقومهم ليأمنوا غائلتهم، وما هم بمخلصين الودِّ لأحدِ الفريقين... يلتحقون بالمسلمين في قضاء لبانات لهم فيظهرون الإيمان، ثم يرجعون إلى قومهم فيرتدون إلى الكفر" (ibn-Ashour, 1984, p. 5 / 154).

وقد تكرر الضمير الكاف أربع مرات ليربطَ بين وشائجِ النَّصِّ مُوَجَّهًا به الخطاب لمحال إليه داخل النَّصِّ سابق (المؤمنون) فـ" الأصلُ في المفسِّر لمعنى المضمر أن يكون مقاميًّا حضوريًّا اعتمادًا على ما توفره شهادة الحال في المُتكلِّم والمُخاطَب" (Al-Shawash, 2001, p. 2 / 1083)، وقد جاء مرتين في مقام المفعوليَّة ليُبيّن الضرر الذي يمكن أن يصيب المؤمنين في حين جاء مُتَّصِلاً بحرف الجر مرتين فيما يقع على المؤمنين من النفع؛ إذ حصلوا على الأذن في مقاتلة المنافقين مع وجود الحجة الواضحة في عداوتهم وانكشاف كفرهم (al-Tusi, p. 3 / 288)، و (Al-Zamakhshari, 1407, p. 1 / 546).

أمَّا عِلَّة الإحالة بكاف الخطاب إلى الكافرين فهي للتقريع والتوبيخ كقوله (ﷻ) : "ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" (souret, p. albagara : 85)، فقد جاءت الإحالة داخليَّة لاحقة إلى بني إسرائيل في قوله (ﷻ) : "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسرَائِيل..." (souret, p. albagara : 83)، فالكلام جاء في ذمّ بني إسرائيل وتوبيخهم لما بدر منهم من جناية وتناقض في الأفعال (Al-Alousi, p. 1 / 312)، وقد جيء بضمير الخطاب الكاف دون الغيبة؛ ليكون التقريع والتوبيخ مباشرًا (al-Tabatabai, 2009, p. 1 / 183)، لذا كانت الدلالة هي الحاكمة في اختيار ضمير الخطاب الكاف ليوافق الضمير المنفصل (أنتم) من جهة، ويؤدي المعنى المراد (التقريع والتوبيخ) من جهة أخرى، فضلاً عن إحالته إلى مرجع واحد (بني إسرائيل)، ممَّا جعله يسهم في تماسك النَّصِّ ويقوي صلة الرَّبط الدلالي واللفظي.

إنَّ وجود الضمير يؤدي إلى عدم تفكك النَّصِّ؛ ذلك في إشارته إلى أَنَّ المُتحدَّث عنه في بداية الكلام هو نفسه في وسطه وفي آخره، فيتَّحِد النَّصُّ نتيجة لذلك، كما يمثِّل في الوقت نفسه جانبًا شكليًّا يساعد القارئ في

الاهتداء لرؤية ذلك الترابط، فالضمير يعمل بمساعدة ما يحيل إليه على تماسك النَّصّ؛ إذ هو لوحده دون ما يحيل إليه لا يستطيع أن يؤدي الدلالة المستقلة فلابدَّ له من تواجد عنصر يحيل إليه (Abdullah, 2010, p. 57).

4- كثرة الضمائر الخاصة بالجمع جاءت نتيجة الخطاب المُوجَّه لمجموعتين متصارعتين تمثلان الحق والباطل.

5- جاءت بعض الضمائر مُحيلَة لأكثر من عنصر كالضمير الهاء المُتَّصِل في "مِنْهُ" في قوله (ﷻ) : "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللهِ..." (souret, p. albagara : 217)، فقد رأى الفرَّاء(ت207هـ) أَنَّه عائد على "الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ " (al-Faraa, 1983, p. 1 / 141)، وهذا ما ذهب إليه أغلب المفسرين (Al-Baghawi, 1997, p. 1 / 247) و (Al-Zamakhshari, 1407, p. 1 / 258) و (al-Tabatabai, 2009, p. 1 / 139)، في حين جوَّز أبو حَيَّان (ت745هـ) أن يكون الضمير عائدًا على "سَبِيلِ اللهِ" _ الإسلام _ مع ترجيح عَوْدِه على "الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ " (Al-Andalusi, 1993, p. 2 / 389)، وربما أُريدا معًا " فيكون المعنى "وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ" أي منعهم لكم أيها المسلمون عن سبيل الله، وعن المسجد الحرام، وإخراجكم منه" (al-Tusi, p. 2 / 205)، وهذا ما يسمى بـ"إحالة الضمير وتعدُّد المحال إليه" (Khatabi, 2006, p. 173).

يُلحظ ممَّا تقدَّم أَنَّ الضمير الهاء ساهم في تماسك النَّصّ بتعدُّدِ الإحالة؛ ففي إحالته إلى "الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ " يكون المعنى : إخراج أهل المسجد الحرام منه أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام، وفي إحالته إلى "سَبِيلِ اللهِ" يكون المعنى : منع المشركين الإسلام أكبر عند الله من القتال في الشهر الحرام، فضلاً عن عود الضمير عليهما معًا، فبه يكون التماسك أشدَّ، و"بناءً عليه فإنَّ الضمير، كما يبرز ذلك من خلال تخريجات المفسرين، يساهم بشكل فعَّال في اتِّساق الخطاب القرآني... خاصة ضمائر الغيبة، [التي] تقوم بوظيفتين : استحضار عنصر مُتقدِّم في خطاب سابق، أو استحضار مجموعة خطاب سابق في خطاب لاحق " (Khatabi, 2006, p. 175)، وهذه الأخيرة تتحقق في الآية الكريمة أعلاه.

6- قلة الضمائر المُنفصلَة مُقارَنةً بالضمائرِ المُتَّصلَةِ.

7- غلبة الضمائر المُتَّصِلَة في آياتِ السِّلمِ والحربِ حقَّقت الاقتصاد اللغوي وهو ما ينسجم مع الاتِّساق.

2-الإِحَالَةُ بِالإِشَارَةِ :

الإشارة من الأسماء المبهمة (Sibawayh, 1988, p. 2 / 77)؛ لـ" أنَّها تشير إلى ما بحضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياء فتلتبس على المخاطَب فلم يدرِ إلى أيِّها تشير فكانت مبهمة " (Ya'ish, 2001, p. 2 / 352)، فتطلب ما يزيل الإبهام؛ كون اللفظ وحده غير قادر على بيان المدلول منه، فيستوجب أن يكون المشار إليه حاضرًا؛ كي يعينه اسم الإشارة تعيينًا مقرونًا بإشارة حسية إليه (Hassan A. , p. 1 / 321).

وقد شابهت أسماءُ الإشارةِ الضمائرَ في الإبهام وافتقارها إلى ما تشير إليه؛ لتكون مفهومة (alzinnad, 1993, p. 118)، فهي غير قائمة بذاتها، وأشار إلى ذلك سيبويه (ت180هـ) بقوله : "والأسماء المبهمة : هذا، وهذان، وهذه، وهاتان، وهؤلاء، وذلك، وذانك، وتلك، وتانك، وتيك، وأولئك، وهو، وهي، وهما، وهم، وهن، وما أشبه هذه الأسماء " (Sibawayh, 1988, pp. 2 / 77 - 78)، وبناء على ذلك أطلق بعض اللغويين العرب مصطلح (ضمائر الإشارة) قاصدين به أسماء الإشارة (Hassan T. , The Arabic language, its meaning and its structure, 1994, p. 110)، وعلى هذا تكون أسماء الإشارة مبهمة وضعًا ومعرفة استعمالاً، فيجتمع فيها الإبهام والتعريف (Al-Shawash, 2001, p. 2 / 1069)، ويأتيها التعريف نتيجة ورودها في سياق تركيبي تظهر فيه أطراف الخطاب عينيًّا أو ذهنيًّا ليُدرك مرجعها (Al-Shehr, 2004, p. 80).

وتختلف أسماء الإشارة عن الضمائر بعدِّها " عناصر إشارية لا تحيل إلى ذات المرجع الذي تحيل إليه الإحالات الضميرية " (Bouguerra, 2009, p. 87)؛ ذلك أنَّ وظيفة الضمائر تقوم على تحديد مشاركة الشخوص في التواصل أو الغياب وعدم المشاركة في ذلك التواصل، في حين تكون وظيفة أسماء الإشارة قائمة على تحديد مواقع هذه الشخوص في زمان ومكان معينين ضمن المقام الإشاري (alzinnad, 1993, pp. 117 - 118) معتمدةً " على الجانب السِّياقي من معنى الوحدة الكلامية، فهي تمثِّل العلاقة القائمة بين المتحدثين...، وبين ما يتحدثون عنه" (Lines, Language, meaning and context, 1987, p. 234)، وتتم بأربعة أركان، هي : مشير (المُتكلِّم)، ومُشار له (المُخاطَب)، ومشار إليه (الشيء في الخارج)، ومشار به (أداة الإشارة) (Al-Shawash, 2001, pp. 2 / 1062 - 1063).

تمتلك أسماء الإشارة قيمة إحالية كبرى تسهم في تماسك النَّصِّ؛ ذلك لقدرتها على الإحالة قبليًّا لكلمة، أو لجملة، أو لنَصٍّ، ويطلق على ذلك الإحالة المُوسَّعة، فضلاً عن قدرتها على ربط جزء لاحق بآخر سابق (Moftah, 2015, p. 25)، مع ملاحظة مدى الإحالة الذي يكون فاصلاً بين عنصر الإحالة ومفسِّره، ويقسم على نوعين (alzinnad, 1993, pp. 123 - 124):

أ_ إحالة ذات مدى قريب، وتكون ضمن الجملة الواحدة.

ب_ إحالة ذات مدى بعيد، وتكون بين الجُمل المُتَّصلَة أو المُتَبَاعِدَة بفواصل داخل النَّصِّ، فتتجاوز تلك الفواصل أو الحدود التركيبية القائمة بين الجمل.

صنَّف النَّصِّيُّون أسماء الإشارة إلى تصنيفات متعددة وذلك " حسب الظرفية : الزمان (الآن، غدًا...)، والمكان (هنا، هناك...)، أو حسب الحياد (the) [أل التعريف] أو الانتقاء (هذا، هؤلاء...)، أو حسب البعد (ذاك، تلك...) والقرب (هذه، هذا...) " (Khatabi, 2006, p. 19).

تميَّز النَّصُّ القرآني بتوظيف أسماء الإشارة في تلاحم أجزائه وتماسكها (Beheiry, 2005, p. 140)، وهذا ما نجده جليًّا في آيات السِّلمِ والحربِ في قوله تعالى:"لَّقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ۞ ثُمَّ أَنزلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى

الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ۞ ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (souret, pp. altoba : 25 – 27).

ورد اسم الإشارة (ذلك) مرتين مُحِيْلاً إلى مذكور في النَّصّ سابق، ففي المرة الأولى "وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ" أحال إلى سابق هو تعذيب الذين كفروا، ويكون ذلك التعذيب بالقتل والأسر والسبي (al–Tusi, p. 5 / 199)، وقد جاءت الإحالة قريبة ضمن آية واحدة؛ كونها مختصة بالإشارة إلى عذاب الكافرين الذي كان معروفًا لدى المسلمين " ذلك العذاب والجزاء أن قُتل بعض الكافرين، وأُسر بعضهم، وفرَّ بعضهم إلى مناطق بعيدة عن متناول الجيش الإسلامي" (Al–Shirazi, 2009, p. 5 / 354)، كما أنَّها مُوسَّعَة؛ لإحالة اسم الإشارة إلى جملة بأكملها (Khatabi, 2006, p. 19)"وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ" التي تعدُّ هي المشار إليه في تفسير وتحديد معنى اسم الإشارة، وتوجيه الانتباه إلى الموضوع المشار إليه (Al–Khafaji, 2015, p. 129)، فالمسلمون الذين أصابهم الغرور؛ لكثرة عددهم في غزوة حُنين، فقد كانوا اثني عشر ألفًا، ظنوا أنَّهم لا يُهزمون ونسوا التوكُّلَ على الله في النصر، فانهزموا في أول اللقاء ثم انتصروا بالرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بعد أن تضرعوا لله تعالى، وكانت الدائرة على المشركين الذين قُتلوا وأُسروا وغُنِمَتْ أموالُهم وسُبِيَتْ نساؤهم (Al–Zamakhshari, 1407, p. 2 / 259)، ثم تأتي الإشارة لهذا العذاب، وتنبِّه السّامع عليه، فبعد أن كان النصر لهم أخزاهم الله ، وكسر شوكتهم وأذلهم.

أما اسم الإشارة الثاني في قوله تعالى : "ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ" فهو كالأول يحيل لمذكور سابق إلّا أنَّ الإشارة فيه أوسع؛ وذلك لإحالته إلى متتالية من الجُمل" الإشارة في قوله : "بَعْدِ ذَلِكَ"على ما يعطيه السِّياق إلى ما ذكره في الآيتين السابقتين من خطيئتهم بالركون إلى غير الله سبحانه وتعالى ومعصيتهم بالفرار ثم إنزال السكينة وإنزال الجنود وتعذيب الذين كفروا " (al–Tabatabai, 2009, p. 9 / 200)، وهذا ما يُسمى بالإحالة المكثَّفة؛ إذ يشير اسم الإشارة إلى عدد من الأحداث السابقة له مختصِرًا إياها ومتجنِّبًا تكرارها (Beheiry, 2005, p. 143)، وبهذا ساهم اسم الإشارة في ربط دلالة ثلاث آيات وتماسكها، ويمكن بيان أركان الإشارة في النص السابق فيما يأتي :

المُشِير ← الله

المُشَار إليه ← جزاء الكافرين / كل ما سبق (متتالية من الجمل)

المُشَار له ← المسلمون

المُشَار به ← اسم الإشارة (ذلك)

نوع الإحالة ← داخليَّة قبليَّة

وترد الإحالة بـ" الظروف مثل : ثَمَّ، هناك، آنذاك..." (Brinker, 2005, p. 54)، سواء أكانت للزمان أم للمكان، ويُعدُّ أكثرها وضوحًا في الإشارة للمكان (هنا، وهناك)؛ فهما يحملان معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز

الإشارة المكانية وهو المُتكلِّم (Nahle, 2011, p. 22)، ومثاله قوله تعالى "قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ" (souret, p. almaeda : 24).

أشار اسم الإشارة (هنا) إلى المكان الذي مكث فيه بنو إسرائيل أثناء توجههم للأرض المُقدَّسَةِ وعدم تقدمهم وجبنهم في مواجهة العمالقة، وهو ما بين مصر والشام، المكان الذي تاهوا فيه أربعين سنة عقوبة لهم لخذلانهم نبيهم (Al-Alousi, p. 3 / 258).

الإحالة باسم الإشارة (هنا) مقاميَّة؛ إذ أشارت لمكان خارج النَّصِّ غير مذكور في الخطاب لكنه معروف لدى طرفي الخطاب، فالإشارةُ فيه حِسِّيَّةٌ، لما يراه المتخاطِبَين، فتكون الإشارة مُطابِقة للمشار إليه في العالم الخارجي، وهذا ما يُعرف بالإحالة الناجحة التي يعتمد نجاحها " على قدرة المُستمِع على التَّعرُّف على المُسمَى الذي قصده المُتكلِّم باستعمال العبارة المُحيلَة؛ وذلك لفهم الرسالة اللغوية المُوجَّهة إليه" (Yule, 1997, p. 246)، فضلاً عن أنَّ دلالة (هنا) مُتعلِّقة بالمقام الإشاري؛ لأنَّها ليست ذات معنى بلفظها وحده دون تعيين ما تشير إليه؛ كونها شكلاً فارغًا في المعجم، إذ تمثِّل المقام الصفري، فتقوم بوظيفة تعويض الأسماء متخذةً محتوى ما تشير إليه (alzinnad, 1993, p. 116).

وبهذا تضمَّن اسم الإشارة شيئين معًا هما : المدلول (المشار إليه) الموجود في الواقع الخارجي المتمثِّل في شيء محسوس هو ذلك المكان المعروف لدى بني إسرائيل والنبي موسى(ﷺ)، والإشارة إلى ذلك المكان في الوقت نفسه، وقد اقترنا (المكان والإشارة إليه) ووقعا في وقت واحد؛ لتلازمهما دائمًا (Hassan A. , p. 1 / 321)، وهو وقت حديث بني إسرائيل وتوجيهه إلى النبي موسى(ﷺ)، وبهذا تم الرَّبط بوساطة اسم الإشارة بين الملفوظ في النَّصِّ وما هو خارج النَّصِّ.

وقوله تعالى : " إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً" (souret, pp. alahzab : 10 - 11).

أحال اسم الإشارة "هُنَالِكَ" الدَّال على البُعد المكاني (Al-Serafi, 2008, p. 1 / 100)إلى مكان وقوع الابتلاء أو زمانه في معركة الخندق (al-Tabatabai, 2009, p. 16 / 245)، وسياق النَّصِّ بما يحمله من دلالة قوله تعالى: "وَإِذْ زَاغَتْ" يدلُّ على خروج "هُنَالِكَ" من بابها إلى الزمان، أي : من الإشارة إلى المكان إلى الإشارة إلى الزمان (ibn-Ashour, 1984, p. 21 / 282)، وكيفما كانت الإشارة فهي تمثِّل إحالة مقامية (خارجيَّة).

ويضاف لأسماء الإشارة سائر ظروف المكان كـ(فوق، وتحت، وأمام، وخلف...) (Nahle, 2011, p. 22)، وممَّا ورد من الظروف في آيات السِّلم والحرب قوله تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ۞ الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ" (souret, pp. alanfal : 65 - 66).

بعد أن كان المُسْلِمُ الواحدُ يُقاتلُ عشرةَ كُفَّارٍ فيهزمهم في بداية الرسالة؛ لما به من قُوَّةٍ عزيمةٍ، فلمَّا ضعفت هذه العزيمة بعد مدَّة طويلة جاء التكليف بأنْ يكون الواحد من المسلمين يثبت أمام اثنين من الكافرين (al-Nahhas, 1988, p. 3 / 169) و (al-Tusi, p. 5 / 153)، وقد ابتدأ هذا التكليفُ من وقت نزول الآية "الآنَ "، ولم يختص بوقت فعل إنشاء الكلام حال النطق به (Al-Alousi, p. 6 / 449)، بل يمتدُّ من وقته إلى ما أتى بعده (Al-Zarkash, 1391, p. 4 / 218)، وعليه تكون الإحالة بالظرف "الآنَ " مقاميَّة إلى زمن خارج النَّصِّ يمتدُّ من وقت نزول الآية إلى يومنا هذا وما بعده.

والظرف (الآن) قادر على الإحالة إلى ما يشير إليه من وقت حدوث الشيء في الزمن الحالي (Ozeniak, 2003, pp. 69 - 70)، وهذا الزمن هو زمن نزول الآية، فالوقت المُستحضَر بقوله: "الآنَ" هو زمن نزولها، وهو الوقت الذي أبلغ الله تعالى المسلمين بانتهاء الحاجة إلى ثبات الواحد منهم للعشرة من المشركين بحيث صارت المصلحة في ثبات الواحد لاثنين، لا أكثر، رفقًا بالمسلمين واستبقاءً لعددهم (ibn-Ashour, 1984, p. 10 / 69).

يتضح أَنَّ الظرف ساهم بالإحالة إلى خارج النَّصِّ، أي : الوقت الذي نزلت به الآية والذي ينسجم مع وضع المسلمين آنذاك، ممَّا ساهم في اتِّساق النَّصِّ؛ كون الوقت معلومًا لدى المتلقي (المسلمين)، لاسيَّما إذا علمنا أنَّ النصيين يعدُّون الظرف(الآن) مُحيلاً مباشرًا إلى المقام مع وجود الزمن، فيوجِّه الانتباه إلى موضوعه بالإشارة إليه (alzinnad, 1993, p. 116).

إنَّ الحالة التي يمرُّ بها المسلمون من انخفاض درجة العزيمة وعدم قدرتهم على مواجهة الكفار بنفس النسبة العددية السابقة وبدرجة أقل بكثير مثَّلت العوامل التي أسهمت في تحديد المعاني للتعبيرات اللغوية الواردة في النَّصِّ (Al-Shehr, 2004, p. 43).

ويمكن لحاظ الآتي :

المُشير ← الله

المُشَار إليه ← زمن نزول الآية الممتد للمستقبل

المُشَار به ← الآن

المُشَار له ← المسلمون

نوع الإحالة ← مقاميَّة

ويمكن بيان ما يخص الإحالة بالإشارة في آيات السِّلمِ والحربِ في عدد من النقاط أهمها :

1. لم ترِدْ بعضُ أسماءِ الإشارةِ في آياتِ السِّلمِ والحربِ، وقد وردَ قسمٌ منها مرةً واحدةً (هذان) (souret, p. alhaj : 19)، و(تلك) (souret, p. a'lomran : 140)، و(هنالك) (souret, p. alahzab : 11)، أو مرتين (هؤلاء) (souret, p. albagara : 85، 49 and alakfal)، وكانتْ جميعُ الإحالاتِ فيها داخليَّةً سابقةً إلا في (هؤلاء)، و(هنا)، و(هنالك) فقد كانتْ الإحالةُ فيها مقاميَّةً.

2. توزَّعتِ الإحالةُ بالإشارةِ ما بين الداخليَّةِ والمقاميَّةِ، وكانتْ جميعُ الإحالاتِ الداخليَّةِ قبليَّةً ولم ترِدِ الإحالةُ البعديَّةُ.

3. جاءتِ الإحالةُ باسمِ الإشارةِ على المُعتَادِ مُوسَّعةً، وقد شملَ قسمٌ منها جملةً واحدةً، وشملَ القسمُ الآخرُ متتاليةً من الجُملِ امتدَّتْ لأكثرَ من آيةٍ.

3_ الإحَالَةُ بِالمُقَارَنَةِ :

وسيلة إحالية تقوم بوساطة ألفاظ تعقد مقارنة بين شيئين أو أكثر تجمعهما سِمَة واحدة أو مجموعة سِمات (alzinnad, 1993, p. 121)، وهذه الألفاظ غير مُستقِلَّة بنفسها، وذلك ما يؤهلها لتكونَ إحدى وسائل تماسك النَّصّ، فعند ورودها يقتضي من المتلقي النظر إلى غيرها بحثًا عن المحال إليه (Boutra'a, p. 42)، فيكون إما خارج النَّصّ أو داخله (Al-Shawash, 2001, p. 1 / 129)، وهي بذلك تشابه الضمائر وأسماء الإشارة بتأدية وظيفة اتِّساق النَّصّ (Khatabi, 2006, p. 19).

قسَّم النصيُّون المقارنة قسمين : عامة، يتفرَّع منها التطابق والتشابه والاختلاف، وخاصة، تتفرَّع إلى كميَّة وكيفيَّة (Khatabi, 2006, p. 19)و (Al-Shawash, 2001, p. 1 / 129)، ويقع تحت كلِّ فرعٍ منها ألفاظ يمكن ذكر أبرزها وحسب المخطط الآتي (Yunus, 2013, p. 82):

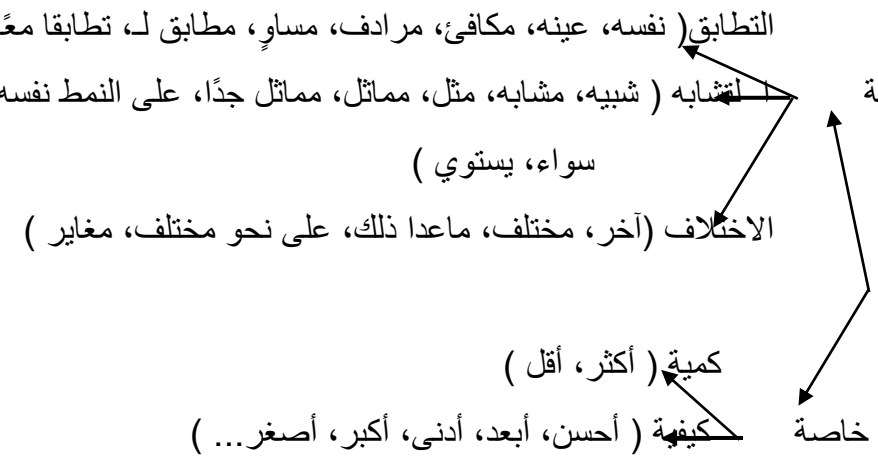

ومن الإحالة بالمقارنة في آيات السِّلمِ والحربِ قوله تعالى: "وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ" (souret, p. alhaj : 58).

جاء اسم التفضيل " خَيْر" مضافًا لـ"الرَّازِقِينَ"، وهذا " المجرور بالإضافة جميع أجزائه مفضولة إلا صاحب أفعل الداخلة فيه معها " (Al-Astrabadi, 1973, p. 3 / 458)، فالله (ﷻ) داخل مع "الرَّازِقِينَ" في صفة الرزق لكنه خيرهم، والرزق الذي ينال المؤمنين الذين هاجروا وقُتلوا أو ماتوا في سبيل الله هو خير الأرزاق؛ لأنه صادر من خير الرازقين (ibn-Ashour, 1984, p. 16 / 311)، وخير الرزق متمثِّل بنِعَم الجنَّة؛ إذ موطنهم بعد القتل والموت (al-Tabatabai, 2009, p. 14 / 343).

تمَّ الاتِّساق اللفظي بوساطة المقارنة عبر بيان الرزق للمجاهدين في سبيل الله جزاءً بما أصابهم، وبيان نوعه كأفضل رزق صادر من خير رازق، والمتلقي يستشعر المقارنة بين الطرفين بلحاظ اسم التفضيل (خير)، فبمجرد أنْ يصلَ سماعه يتَّجه لعقد الصلة بينهما ليستنتج علاقة المقارنة وسبب وجود هذه المقارنة التي أحالت العائد بصفة أنموذجية لداخل النَّصّ (Belhout, 2006, p. 403).

يرى الدكتور محمد الشاوش أَنَّ الإحالة بالمقارنة شابها خلط كثير عند النصيين العرب؛ ذلك أنَّ الدراسات التي قامت عليها بدايةً كانت مُعتمِدَةً على اللغة الإنجليزية التي تتمتَّع بالرَّبط الشِّكلي اللغوي المُمْتَدِ أفقيًّا والمناسب لعلاقات المقارنة دون الاعتماد كثيرًا على الجانب الدلالي، وهذا مُستبعَدٌ في اللغة العربية؛ كون المقارنة فيها قائمة على بنية تركيبية تقتضي وجود علاقة دلالية، كصيغة التفضيل التي تتطلب وجود ثنائي (مُفضَّل ومُفضَّل عليه) تربطهما علاقة المفاضلة في سمة واحدة يزيد فيها المُفضَّل، وهذه العلاقة تبرز فيها الدلالة أكثر من العناصر الإحاليَّة، فإذا نُظر لكلِّ ظاهرة مشابهة لصيغة التفضيل على أنَّها إحالة بالمقارنة فسيدخل تحت هذا العنوان جميع التراكيب اللغوية المقتضية وجود عنصرين مرتبطين دلاليًّا بإحدى علاقات المقارنة (Al-Shawash, 2001, p. 1 /129).

ويؤيد البحث ما ذهب إليه الدكتور محمد الشاوش في أَنَّ التراكيب اللغوية العربية الثنائية المرتبطة بعلاقة المقارنة تربطها روابط دلاليَّة أكثر منها عناصر إحالية (اتساقية) ، ففي علاقة المُخَالَفَة مثلاً تبرز أساليب نحوية وبلاغية فيها تعابير لغوية ترشد المتلقي لهذه المُخَالَفَة إلّا أنَّ العلاقة الدلالية هي البارزة فيها، ومن الأساليب النحوية الاستثناء الذي عَدَّهُ النحاة " أحد أبواب النحو، وأرادوا به الإخراج الذي يقع بالأداة (إلا) أو ما جاء في معناها من الأدوات الأخرى" (Kazem, 1998, p. 20).

يُفْهَمُ من هذا التعريفِ الاصطلاحي أنَّ ما بعد (إلا) يخرج من المعنى الذي قبلها، ويخالف المُتقدِّم عليها فيما تقرر من إثبات أو نفي... (Hassan A. , p. 2 / 316)، فالعلاقة بين المستثنى والمستثنى منه قائمة على أساس المُخَالَفَة وخاصة الاستثناء التام المُتَّصِل المثبت والمنفي، ويخرج من المنفي بدل الكلِّ لا بدل البعض، فبدل البعض ليس هو نفسه بدل الكلِّ فتكون فيه مخالفة؛ لأَنَّ الثاني فيه مخالفة للأول، والاستثناء المنقطع (Suyuti, hamae alhawamie fi sharah jame aljawamie, 1998, p. 2 / 188)، أمَّا الاستثناء المنفي الذي يكون بدلَ كلٍّ من كلٍّ أو الاستثناء المفرغ فلا تكون فيه مخالفة.

وقد ورد الاستثناء المُتَّصِل والمُنقطِع في آياتِ السِّلمِ والحربِ بالحرف (إلا)، وبالاسم (غير)، ولم يرد بغيرهما، ومنه قوله تعالى : "وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً ۞ إلا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السِّلم فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً" (souret, pp. alnisa : 89 – 90).

قوله : "إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ..." استثناء من الضمير الهاء في "فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ "، وهو استثناء مُتَّصِل، والمعنى : اقتلوا جميع الكافرين إلا الكافرين الذين ينتسبون إلى قومٍ بينكم وبينهم ميثاق أو الذين جاؤوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم (Al-Andalusi, 1993, p. 4 / 11)، وقد جاء الحكم بوجوب قتل الذين ذُكروا قبل (إلا) وعدم قتل من جاء بعدها، والعلاقة الرابطة بين المستثنى والمستثنى منه دلالية تمت بوساطة (إلا).

ومثلُ الاستثناءِ العطفُ بـ(بل، ولا، ولكنْ) الذي تمثَّلت فيه المُخَالَفَة بين طرفين (Al-Astrabadi, 1973, pp. 420 – 416 / 4)و (Suyuti, hamae alhawamie fi sharah jame aljawamie, 1998, p. 2 / 188)، وممَّا ورد في آيات السِّلمِ والحربِ قوله تعالى : " وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" (souret, p. a'lomran : 169)، فالمُخَالَفَة واقعة بين ما قبل (بل) وما بعدها؛ إذ أفادت الإضراب عن " وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً "، فجاء بعدها جملة؛ لأنَّ (بل) حرف إضراب يقع بعده مفرد أو جملة (Al-Mouradi, 1992, p. 235)و (ibn-Hisham, 1964, pp. 119 – 120)، فيكون التقدير : بل هم أحياءٌ أو بل أحسبهم أحياءً لمن قرأ بنصب أحياء، فيكون الموت ظاهريًّا للمجاهدين غير حقيقي، فهم وإن كانوا أموات الأجسام إلا أنَّهم أحياء الأرواح (ibn-Ashour, 1984, p. 4 / 165)، فـ" لا تعتقدوا فيهم الفناء والبطلان كما يفيده لفظ الموت عندكم، ومقابلته مع الحياة، وكما يعين على هذا القول حواسكم، فليسوا بأموات بمعنى البطلان، بل أحياء ولكن حواسكم لا تنال ذلك ولا تشعر به" (al-Tabatabai, 2009, p. 1 / 288، 2 / 54).

فـ(بل) وغيرها من الألفاظ في الأساليب النحوية الأخرى تمثِّل ألفاظًا إحالية، فـ" أينما وردت هذه الألفاظ اقتضى ذلك من المخاطَب أن ينظر إلى غيرها بحثًا عمَّا يحيل عليه المُتكلِّم" (Boutra'a, p. 95)، فهي غير مُستقِلَّة بنفسها؛ إذ لا بدَّ من أن تقترنَ بالمحال إليه ليتمَّ المعنى، فغاية الرَّبط اللفظي في هذه الألفاظ إيصال دلالة مُحدَّدة، وعليه تكون فيها " وجوه المقارنة هي أقرب إلى السمات الدلالية منها إلى المبهمات أو العناصر الإحاليَّة " (Al-Shawash, 2001, p. 1 / 130).

وتُلمَح بشكل واضح المُخَالَفَة الواقعةُ بين لفظتي "أَمْوَاتاً "و"أَحْيَاءٌ" من جهة بلاغية؛ إذ مثَّل طباق الإيجاب خلافًا معنويًّا بين اللفظتين، فهما لفظان متقابلان في المعنى (al-Qazwin, 2000, p. 287)، وما ينطبق على الطباق ينطبق على كلِّ فنون علم البديع المعنوية كالمقابلة، ومراعاة النظير، والإدماج... (al-Qazwin, 2000, p. 278)و (Al-Hashimi, 1427, p. 372).

ما تقدَّم يخصُّ جزءًا من المُخَالَفَة أُورد للتمثيل لا للحصر، فإذا نُظر لما تبقَّى من علاقات المقارنة كالمشابهة مثلاً لَوجِدَ تحتها أساليب نحويَّة أخرى كالتوكيد المعنوي، وبلاغيَّة تشمل فنون علم البديع اللفظيَّة كالجناس، والموازنة، ولزوم ما لايلزم... (al-Qazwin, 2000, p. 318) و (Al-Hashimi, 1427, p. 409)، فضلاً عن التشبيه وخاصة التشبيه المرسل الذي تُذكر فيه الأداة (al-Qazwin, 2000, p. 226) و (Al-Hashimi, 1427, p. 279).

يخلص البحث إلى أنَّ المقارنة في اللغة العربية تختلف عنها في اللغة الإنجليزية؛ لوضوح الجانب الدلالي وتفوقه على الجانب التركيبي، فتكون مساهمتها في ربط النَّصِّ وتماسكه عبر العلاقات الدلالية هو الأبرز، خاصة أنَّ بعض العلاقات الدلالية تتكئ على ألفاظ معينة في ربط النَّصِّ، وعلى هذا يمكن أنْ تُقسَّم المقارنة على قسمين: الأول : ما كان فيه لفظٌ مُعيَّنٌ أو صيغةٌ مُعيَّنَةٌ يتوسَّط أحدهما طرفي المقارنة بمختلف علاقاتها، يُضمُّ هذا القسم تحت الإحالة وإن وجِدت العلاقة الدلالية إلا أنَّ اللفظ أو الصيغة الواجب توفرهما يشفعان لهذه العلاقة؛ فبوجود هذا اللفظ تتمُّ المقارنة وبعدمه تنعدم. والثاني : ما كان فارغًا من لفظ المقارنة أو صيغتها فهو حتمًا خارجٌ عنها وداخل في العلاقات الدلالية التي يقوم عليها انسجامُ النَّصِّ.

4_ الإِحَالَةُ بِالِاسْمِ المَوْصُوْلِ :

يساهم الاسم الموصول بشكل فعَّال في اتِّساق النص، ولعلَّ الدكتور تمَّام حسَّان يقف في مقدمة النصيين العرب في عدَّه عنصرًا إحاليًّا متبعًا في ذلك ديبوجراند (Beaugrande, 1998, p. 32)، فـ" لم يُشر أحدٌ من قبل إلى هذا النوع من الرَّبط، وإن سبقت الإشارة إليه بفهم آخر تحت عنوان الإظهار في مكان الإضمار " (Hassan T. , Essays on Language and Literature, 2006, p. 1 / 200)، واستدلَّ على صحة الإحالة بالاسم الموصول بوقوعه موقع الضمير الشخصي؛ لمطابقة القصد بينهما واختلاف اللفظ، وكلاهما عوض عن إعادة الذكر (Hassan, The statement in the Masterpieces of the Qur'an (a linguistic and stylistic study of the Qur'anic text), 2013, pp. 122 - 123)، أي : يُستعاض بالموصول عن تكرار الاسم (Saq, 1977, p. 292).

يصفُ الاسم الموصول اسمًا متقدمَ الرتبةِ داخل النص أو خارجه، مستعينًا بالصلة في تحديده (Hassan T. , The Arabic language, its meaning and its structure, 1994, p. 111)، وهذه الصلة فضلاً عن أنَّها تحدد ذلك المحال إليه، فإنَّها توضِّحُ معنى الموصول؛ كونه اسمًا مبهمًا يصح وقوعه على حيوان وجماد وغيرهما (Ya'ish, 2001, pp. 2 / 371 - 372)، وعلى هذا سُمّي موصولاً؛ إذ بها يتمُّ معناه (Al-Samarrai, 2003, p. 1 / 119)، وبهذا يشارك الضمير واسم الإشارة في الإبهام.

والموصولات مختصة ومشتركة (Zafa, 1998, p. 107)، والمختصة (الذي، والتي، واللذان، واللتان، والأُلى، والذين، واللاتي، واللائي)، والمشتركة (من، وما، وأيّ، وأل)، والفرق بينهما أنَّ المختصة تأتي مفردة ومثناة وجمعًا للتذكير والتأنيث حسب ما يقتضيه الخطاب، في حين تلتزم المشتركة لفظًا واحدًا لكلِّ الحالات (Suyuti, hamae alhawamie fi sharah jame aljawamie, 1998, pp. 1 / 267 - 272).

وقد وردت الإحالة بالاسم الموصول (الذين) في آيات السِّلمِ والحربِ أكثر من الموصولات الأخرى، وخلت هذه الآيات من(اللذان،اللتان، اللائي، اللاتي، الأُلى، أَيّ).

وممَّا ساهم به الموصول في اتِّساق النص في آيات السِّلمِ والحربِ قوله تعالى : "فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً" (souret, p. النساء : 74)، تُلحظُ مساهمة الاسم الموصول (الذين) في شدِّ أواصرِ النَّصِّ وزيادة تماسكه؛ فالإحالة فيه تتضح بمعناه الذي تبيّنه صلته "يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ"؛ إذ اُختُلِفَ في المحال إليه نتيجة اختلاف معنى الصلة، فالفعل" يَشْرُونَ" من الأضداد يكون بمعنى باع واشترى (Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad, 1412, p. 1 / 453)، فإن كان بمعنى (يشترون) فالإحالة بالاسم الموصول تكون للمنافقين، والأمر لهم بأنْ يتركوا النفاق ويجاهدوا مع المؤمنين، وإن كان بمعنى (يبيعون) فالإحالة للمؤمنين الذين تركوا الدنيا واختاروا الآخرة، والأمر لهم بالثبات على القتال (Al-Zamakhshari, 1407, p. 1 / 534).

والإحالة في كلا المعنيين داخليَّة، فإن كانت إلى المؤمنين فالاسم الموصول يحيل إلى قوله تعالى : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعاً" (souret, p. alnisa : 71)، وإن كانت إلى المنافقين المتخلفين عن معركة أحد (Al-Andalusi, 1993, p. 3 / 703)، فالموصول يحيل إلى قوله تعالى : "وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً" (souret, p. 72)، وهي هنا قبليَّة والراجح فيها إحالة اسم الموصول إلى المؤمنين؛ كون الفعل "يَشْرُونَ" في هذه الآية بمعنى يبيعون وإن كان من الأضداد (al-Nahhas, 1988, p. 2 / 132)، أو بدلالة الآية التي بعدها "وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ..." (souret, p. alnisa : 75)؛ إذ فيها استفهام دال على الحث والتحريض على الجهاد (Al-Andalusi, 1993, p. 3 / 710)، و" هذا الحث والتحريض لا يكون إلا لمَن اطَّلع الله على قلوبهم فوجد منهم الإخلاص والإيمان، ومن ثمَّ فهي محالة إلى لاحق" (Radi, 2010, p. 69)، وبهذا يمكن القول إنَّ الإحالة يجوز أن تكون باتجاهات متعددة وجميعها جائزة، والأفضل منه: إنَّ الاسم الموصول يحيل إليها جميعًا في آن واحد، ويمكن بيان ذلك في المخطط الآتي :

المؤمنون المستعدون للجهاد

(الذين يبيعون الدنيا بالآخرة)

الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة المؤمنون الذين يقاتلون

في سبيل الله وتخليص المستضعفين

المنافقون المبطئون المثبطون

(الذين يشترون الدنيا بالآخرة)

والإحالة للسابق واللاحق في آن واحد تسهم في تماسك النَّصِ واتِّساقه، كما تضع مقبولية للمعاني ربط النص دلاليًا بما قبل الموصول وما بعده.

الخاتمة:

بعد الوقوف على دور الإحالة في اتِّساق النَّصِ في آيات السِّلمِ والحربِ انتهى البحث إلى الأمور الآتية :

1. الإحالة الداخليَّة هي الغالبة، وخاصة القبليَّة.

2. تعددت وسائل الإحالة في آيات السِّلمِ والحربِ، وبرزت الإحالة بالضمائر بصورة جلية أكثر من غيرها، فيما تلتها الإحالة بالموصول، ثم بالإشارة، ثم بالمقارنة.

3. تضافرت وسائل الاتِّساق فيما بينها في جميع الآيات _ موضوع البحث _ فشكلت شبكة اتِّساقية متماسكة العُقد، فجاءت الضمائر الخاصة بالجماعة موائمة للاسم الموصول الخاص بالجمع، ومثله اسم الإشارة.

4. كثرة ورود الإحالات بالضمير (الكاف) الى المؤمنين لكثرة التوجيهات الإلهية ووعظهم وتنبيههم ، في حين كانت الإحالة للكافرين بالضمير المذكور للتقريع والتوبيخ .

5. امتاز اسم الإشارة بالإحالة الى عدد من الأحداث مختصرا إياها ، ومتجنباً ذكرها، وهذا يطلق عليه بالإحالة المكثفة.

6. تميزت الإحالة بوسائل غلب فيها صفة الجمع المذكر؛ ذلك لأنَّ الغالب في آيات السِّلمِ والحربِ يكون المخاطَب فيها (المسلمون) أو المُتَحدَّث عنه (الكفار أو المنافقون) جمعًا مذكرًا.

7. المقارنة في اللغة العربية تختلف عنها في اللغة الإنجليزية؛ لوضوح الجانب الدلالي وتفوقه على الجانب التركيبي، فتكون مساهمتها في ربط النَّصِ وتماسكه عبر العلاقات الدلالية هو الأبرز، خاصة أنَّ بعض العلاقات الدلالية تتكئ على ألفاظ معينة في ربط النَّصِ،.

Sources and references:

Abdullah, M. H. (2010). Types of textual cohesion (repetition, pronoun, conjunctions) (Vols. Special Issue, Volume 5.). Dhi Qar University Journa.

Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad, k. a.-I. (1412). Vocabulary in Gharib al-Qur'an. (S. A. Al-Daoudi, Ed.) Damascus, Beirut: a Pen House, Al-Shamiya House.

Afifi, A. (2001). Towards the text (a new trend in the grammar lesson). Cairo: Zahraa Al Sharq Library.

Afifi, A. (n.d.). Reference in towards text. Cairo: Cairo University.

Al-Alousi, (n.d.). The spirit of meanings in the interpretation of the Great Qur'an and the Mathani Seven. Beirut: House of Revival of Arab Heritage.

Al-Andalusi, A. H. (1993). albhar almuhit. (a. S. Sheikh Adel Ahmed Abdel Mawgoud, Ed.) Beirut: Scientific Books House.

Al-Astrabadi, M. I.-H.-R. (1973). Explanation of Al-Radhi on the Sufficient. (Y. H. Omar, Ed.) Tehran: Al-Sadiq Foundation for Printing and Publishing.

Al-Baghawi, A. M.-H. (1997). Download milestones. (O. G.-H. Muhammad Abdullah Al-Nimr, Ed.) Taibah House for publication and distribution.

al-Faraa, A. Z. (1983). The meanings of the Qur'an. (M. A. al-Najjar, Ed.) Beirut: Book Scholar.

Al-Feki, S. I. (2000). Textual linguistics between theory and practice (a comparative study on the Meccan surahs). Cairo: Quba House for printing, publishing and distribution.

Al-Hashimi, A. (1427). Jawaher Al-Balaghah in Al-Maani, Al-Bayan and Badi. Iran: Ismaili Publications, ninaua House.

Al-Khafaji, B. A. (2015). Assignment of reference names in Arabic grammar (Vols. Volume 21, Issue 87.). Journal of the College of Islamic Education.

al-Maliki, A. (2016). Peace and war in the Holy Quran. Karbala: Karbala Center for Studies and Publishing.

Al-Mouradi, A.-H. b. (1992). The proximal genie in the letters of meanings. (a. P. Dr. Fakhr Al-Din Qabawa, Ed.) Beirut: Scientific Books House.

Al-Mutawakel, A. (2010). Discourse and characteristics of the Arabic language. Beirut: Arab Science House Press.

al-Nahhas, A. J. (1988). The meanings of the Noble Qur'an. (S. M. Al-Saboun, Ed.) Kingdom of Saudi Arabia: Umm Al-Qura University.

al-Qazwin, J. a.-D. (2000). Clarification in the sciences of rhetoric. (A. Boumelhem, Ed.) Beirut: Al-Hilal Library House.

al-Razi, F. a.-D. (1981). Unseen Keys. Beirut: Al-Fikr huose for printing, publishing and distribution.

Al-Saleh, S. (2009). Studies in Philology. Beirut: the home of science for millions.

Al-Samarrai, F. (2003). The meanings of grammar. Amman: Thought house.

Al-Serafi, A. A.-H.-M. (2008). Explanation of Sibawayh Book. (A. H. Ali, Ed.) Beirut: Scientific Books House.

Al-Shawash, M. (2001). Fundamentals of discourse analysis in the Arabic grammatical theory (foundation towards the text). Tunisia: Arab Corporation for Distribution.

Al-Shehr, A. H. (2004). Discourse strategies (deliberative linguistic approach). Libya: the new book house.

Al-Shirazi, S. M. (2009). Optimal interpretation of the book of God Almighty. Beirut: the princess for printing, publishing and distribution.

al-Tabatabai, M. H. (2009). Libra in the interpretation of the Qur'an. Baghdad: the Arab Book House.

al-Tusi, S. A. (n.d.). Explanation in the interpretation of the Quran. (A. H. Al-Amili, Ed.) Beirut: House of Revival of Arab Heritage.

Al-Zamakhshari, J. (1407). Exposing the facts of ambiguities of revelation and the eyes of gossip in the faces of interpretation. Beirut: the Arab Book House.

Al-Zarkash, B. A.-D. (1391). Evidence in the Sciences of the Qur'an. (M. A.-F. Ibrahim, Ed.) Beirut: House of Knowledge.

alzinnad, A.-A. (1993). Text Texture A search for what is being spoken in text. aldaar albayda': Casablanca, the Arab Cultural Center.

authors, A. g. (2007). Knowledge of the language of the text (Towards a New Horizons) (Vol.). (D. S. Beheiry, Trans.) Cairo: Zahraa Al Sharq Library.

Beaugrande, R. d. (1998). Text, discourse and procedure. (D. Hasssan, Trans.) Cairo: ealim alkutub.

Beheiry, S. H. (2005). Applied linguistic studies in the relationship between structure and significance. Cairo: Literature Library Cairo.

Belhout, S. (2006). Referral is a theoretical study with the translation of the first and second chapters of the book Cohesion in English by M.A. Halliday and Waraqa Hassan (Vol. Master Thesis). University of Algeria, Faculty of Letters and Langu.

Bouguerra, N. (2009). Basic Terms in Text Linguistics and Discourse Analysis (Lexical Study). Jordan: the modern world of books for distribution and publicatio.

Boutra'a, A. H. (n.d.). Textual reference and its impact on achieving the consistency of the Qur'an text (An applied study on some Qur'anic evidence) (Vol. Research). Algeria: University of the Valley.

Brinker, K. (2005). Linguistic analysis of the text (Introduction to basic concepts and approaches). (S. H. Beheiry, Trans.) Cairo: Al-Mukhtar Foundation for Publishing and Distribution.

Decro, J.-M. S. (2007). . Encyclopedic Dictionary of Linguistics. (M. Ayashi, Trans.) aldaar albayda': Arab Cultural Center.

Dyck, V. (2000). Text science is an interdisciplinary entry. (D. S. Beheiry, Trans.) Cairo: Cairo Book House.

Faraaheedi, a. K. (1999). al ain. (a. D. Dr.mahdy al makhzomi, Ed.) Beirut: al hilal library hous.

Faraj, B. M. (2018). Casting and knitting in the amma part (Vol. Master Thesis). Al-Muthanna University, College of Education.

Farrouj, H. A. (2007). Text science theory (a systematic view in constructing prose text). Cairo: Literature Library.

Fehfiger, W. H. (1999). Introduction to Textual Linguistics. (D. F. Al-Ajmi, Ed.) Riyadh: King Saud University Press.

Hassan, A. (n.d.). Adequate grammar. Egypt: the House of Knowledge.

Hassan, T. (1994). The Arabic language, its meaning and its structure. Morocco: House of Culture.

Hassan, T. (2006). Essays on Language and Literature. Cairo: the world of books.

Hassan, T. (2007). Linguistic jurisprudence. Cairo: the world of books.

Hassan, T. (2013). The statement in the Masterpieces of the Qur'an (a linguistic and stylistic study of the Qur'anic text). Cairo: the world of books.

ibn-Ashour, M. T. (1984). Al-Tahrir and Enlightenment (liberating the good meaning and enlightening the new mind from the interpretation of the glorious book. Tunisia: Tunisian publishing house.

ibn-Hisham, J. a.-D. (1964). Mughni Al-Labib on the books of Al-A'areeb. (r. b.-A. Dr. Mazen Al-Mubarak and Muhammad Ali Hamdallah, Ed.) Damascus: Al-Fikr house.

ibn-Jinni, A. A.-F. (1957). Properties. (M. A. Al-Najjar, Ed.) Cairo: The Egyptian Library.

Ibn-Manzur, J. a.-D. (1414B.C). lisan alearab. Beirut: house Sader.

Ismail, N. M. (2011). , Referral by pronouns and their role in achieving coherence in the Qur'an text (an analytical descriptive study) (Vol. 3). Gaza: Al-Azhar University Journal.

Kazem, I. (1998). The exception in the grammatical and rhetorical heritage. Beirut: the world of books.

Khalil, I. M. (2009). In linguistics and grammar of the text. Amman: House almasara.

Kharma, O. A. (2014). Towards the text (Critique of the theory and construction of another). Jordan: the modern world of books.

Khatabi, M. (2006). Text linguistics, an introduction to discourse harmony. Morocco: Arab Cultural Center.

Lines, J. (1980). Semantics. (a. H. Majeed Abdul Hamid Al-Mashtah, Trans.) Iraq: University of Basra.

Lines, J. (1987). Language, meaning and context. (D. Y. Aziz, Trans.) Baghdad: General Cultural Affairs House.

Maslouh, S. (1991, July). nahw 'ujrumiat lilnas alshaerii, dirasat fi qasidat jahilia. magazine fusul, Egypt, pp. the number 1, 2.

Moftah, I. M. (2015). Textual coherence for linguistic use in the poetry of Al-Khansa. Irbid, Jordan: the modern world of books for publication and distribution.

Mossadegh, M. A.-A. (2015). Textual Coherence through References and Deletions (An Applied Study in Surat Al-Baqara). Haji Lakhdar University of Batna, Faculty of Language, Arabic Literature and Arts.

Nahle, M. A. (2011). New horizons in contemporary linguistic research. Cairo: Literature Library.

others), A. o. (1426 AH). Al-Waseet Dictionary. Iran, Tehran: Al-Sadiq Foundation for Printing and Publishing.

Ozeniak, Z. a. (2003). Introduction to Text Science (Problems of Text Building). (S. H. Beheiry, Trans.) Cairo: Al-Mukhtar Foundation for Publishing and Distribution.

Radi, A. M. (2010). Textual standards in the Holy Quran. Cairo: Library of Religious Culture.

Sabrad, M. H. (2001). The reference of conscience in the Noble Qur'an (its positions, rulings, and impact on meaning and style. Cairo: Gharib House for Printing and Publishing.

Saq, F. A. (1977). Sections of Arabic speech in terms of form and function. Cairo: Al-Khanji Library.

Shebel, A. (2009). Text language science, theory and practice. Cairo: Literature Library.

Sibawayh. (1988). The book. (A. a.-S. Haroun, Ed.) Cairo: Al-Khanji Library.

Suyuti, J. A. (1998). hamae alhawamie fi sharah jame aljawamie. (A. S. Al-Din, Ed.) Beirut: Scientific Books House.

Suyuti, J. A. (2007). Similarities and isotopes in grammar. (G. Al-Sheikh, Ed.) Beirut: Scientific Books House.

Ya'ish, M. a.-D.-s. (2001). Detailed explanation. (E. B. Yaqoub, Ed.) Beirut: Scientific Books House.

Yule, G. B. (1997). Discourse analysis. (D. M.-T. Dr. Muhammad Lotfi Al-Zalitni, Trans.) Riyadh: King Saud University Press.

Yunus, M. M. (2013). Issues in language, linguistics and discourse analysis. Beirut: the new book house.

Zafa, J. A. (1998). Quranic grammar (grammar and evidence). Makkah Al-Mukarramah: Al-Safa Printing Press.